# الإمبراطورة

**لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.**

**All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.**

- **الكتاب: الإمبراطورة**
- **المؤلف: ناردين شومان**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 2019 / 20471**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-58-4**

- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 29 شارع الكمال – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 002022402029 - 002026061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

**كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع**

# الإمبراطورة

رواية

نادين شومان

www.bbibliomania.com

-١-

كأني خُلقتُ اليوم، لا أعلمُ من أين انحدرتُ أو لأيٍّ عرقٍ انتميت، أنا لا أتحدث عن نسب الدم، بل أقصد الانتساب بالوعي الروحاني لسلالة الفكر، وأما عن امتداد سلالة الدم، أنا فتاة تنتمي لعرق عائلة راقية تندرج من طبقة برجوازية عريقة، كُنت نسجاً لِقُدسية زواج مختلط حمل دماً وعرقاً وديناً وفكراً متبايناً، وربما هذا ما كوَّن تميزي، تبدأ قصتي من حيث تنتهي ، أنا لا أحب أرشفة الذكريات، فهي ترهق الذاكرة بضباب الإحساس الممزوج بغبار العاطفة لتحجب رؤية الأمل لمستقبل لا يطمح إلى عناق الغيوم، فما نفع الماضي إن لم يجنِ ثمار الحاضر ومحصول المستقبل؟

لا تتعجبوا من سرياليتي الفكرية، فأنا أطلق العنان لبنات أفكاري وأرفع عنهن التزام الحشمة في كثيرٍ من المناسبات، فمن يلزمهن بعدم ارتكاب المحظورات؟

لن ألقب نفسي بالاستثنائية، فكل واحدٍ أعرفه يدَّعي منهجية الاستثناء

عن المسار العام، لذلك أنا أرفض قانون التشابه في الاختلاف وأفضل أن أكون وحيدة في خانة يتيمة لأشبّه نفسي بنفسي، كما أعارض الانتماء لسلالة المتمردات، عُذراً، فالتمرد هي صفة للمراهقات. إن كل ما بي من أنوثة تنبض بصخب الثورة، لقِّبوني بالثورية إن أردتم فرض الألقاب، أنا فقط اكتفيتُ ببريقِ الياقوتِ لأسرق اسمي من بين تدرجات لونه.

-٢-

لكلٍ منّا قصته، ولكلٍ منّا سيناريو قد كُتب بطريقة ما، ربما قد تجمعنا الأحزان والأفراح أو ربما قد تفرقنا، فكل منا له حكاية، ومن منا سيجرأ على سرد قصته بوضع نفسه أمام الملأ على منصة الحكم استعداداً للتمجيد أو الرجم؟ اعتقد أنهم عدد قليل من الأشخاص، وسأكون أنا من هؤلاء الأقلة، اسمي روبي، بدأت بطرق أبواب النضوج من العمر، كم تشبه هذه المرحلة العمرية فصل الخريف، نبدأ بالتساقط تدريجياً، وكأنها مرحلة لتصفية حساباتنا من ربح وخسارة، في جذعي أوراق كثيرة منها قد جف وسقط ومنها قمت باقتلاعه أخضرَ لأني لم أجد له أهمية ليزهر على غصني، ومنها ما سقط برمي أحدهم لي بالحجارة على اعتباري تلك الشجرة المثمرة، العاطفة في أسطورتي مضحكة للغاية، أنا لا أعرف إن كنت قد أحببتُ يوماً ربما يكمن اللغز في أسلوبي بالحب أم الإخفاق في اختيار الأشخاص الذين أخذوا حيزاً زمنياً من صفحات عمري، تعددتْ علاقاتي الفاشلة سنةً تِلو الأخرى، فكلُ بطلٍ من أبطال قصاصات الورق قد كان يعاني من مشكلة ما،

أعْلمُ الآن أن أصابع الاتهام ستصب في اتجاهٍ واحدٍ، نحوي، ولكن مهلاً، ومن منا يدعي الكمال!

أنا على قدرٍ متواضعٍ من الجمال، ولكن لِي إحساسٌ أنافس به مثالية الكمال لقوانين أفلاطون، وقد أصلح أن أكون أولى أحجاره في بناء مدينته الفاضلة، ليتني أقتنع أنني سببٌ رئيسيٌّ في فشل تلك القصص؛ لكنتُ اعتزلتُ العشق منذ بدء الزمان أو ربما هي لعنة قد لحقت بي كل مكان.

-٣-

تحدي الظروف لأجلِ العشق في قصة والديّ جعلني أُقدس الروابط بين كل آدم وحواه، اختلافُ الأديان لم يعرقل نمو جنينِ الحب في رحم المحرمات، فقد كسرا حواجز الممنوعات وخطف الفارس عروسه ورحل بها إلى بلاد المهجر ليتوج غرامهما باستقرارٍ عائليٍّ مُقدس، نعم إنها قصة حب متكاملة وقد تكللت بالنجاح ولكنها سببت لي عقدة نفسية لم أكن على دراية بخطورة أبعادها، فقد أصبحت أحلم بنفس التفاصيل، أريد قصة بها تضحيات، وجنون يبدأ فلا ينتهي، أريد أسطورة تليق بعرش تيام الإمبراطورة، قد أكون متطلبة، جشعة، ومقاتلة شرسة، أريد رجلاً مختلفاً، لا يشبهني أبداً، فأنا أؤمن بأن قطب الاختلاف سيحتضنني بالجذب، أريده قاسياً بالليونة، ومنطقياً بالتناقض، عاقلاً بالجنون، حكيماً بالطيش، كاملاً بالانتقاص، أريده أن يعزفني كقيثارةٍ لها أوتارٌ حادةٌ ولكن يلين لحنها بين أنامله، أريدُ أن أستَر عيوبي بِردائه وأستظلُ بعنادي تحت كبريائه، وأذوبُ في ثقبِ نظراته، تطلُّباتي ليست منطقيةً، ولكن هناك ما يُسمى بالكيمياء العاطفية، لَستُ مجرد أنثى صعبة المنال أو الإرضاء، ولكني أيضاً أملكُ ذوقاً يرهقني في الاختيار، لم أجد من يكملني بعد، فكل علاقة مررت بها جعلت ذوقي

في الرجال صعباً للغاية، حتى أني أصبحتُ عاقرَ الأملِ بالعثور على من سيصيب قلبي بسهام عشقه، فقد تكاثر أشباه العشق في رحمي إلى أن أُجهض جنين العلاقة بعد بضعة أشهر، وأُصيب بنزفٍ في القلب، وكأن لكل شيء تاريخ صلاحية محدد ومقيّد كشرطِ جزاءٍ، إدمانُ العادةِ يجبرني على البقاء بالرغم من وصولي لنهاياتِ الفناء، أجندتي السوداء تحملُ أسماءَ أبطالِها النبلاء من الألف إلى الياء، مُأرشفين بتاريخ البداية والانتهاء، منهم من به دهاء وآخرون بقمة الغباء، اختلفوا بالأجناس والانتماء، منهم بالغزل شاعر ومنهم بالحب جاهل ومنهم أصابه جنون أو له برودٌ ملعونٌ، مجتمعي الشرقيّ يرفضُ أن تُعدد الأُنثى علاقاتها، ويعتبرُ تعدد العلاقات للرجل بطولة أما للمرأة فهي عهورة، مهلاً، ومن قال أن العلاقات عليها أن تكون بكامل حدود الاختلاط؟

ألا يجب علينا جميعاً أن نمارس العلاقات العذرية بكامل الحرية؟

أنا لا أبحثُ كغيري عن الشهواتِ وإشباعِ النزوات، كلُ ما أريده فقط هو تتويجي أميرة في بعض الحكايات.

– ٤ –

أنا أختلف، لستُ أفضلهن أو أسوأهن ولكني فقط أختلف، لا يستهويني خطاب الجماعة لنون النسوة أو تخصيص التاء المربوطة في نهايات مُقتنياتي، فلا تنسبوني بهي أو تشيروا لِي بهذه، أنا أمثل أناتي، ولستُ سفيرةَ النساءِ عنهن في حمل البلاء، دعونا من التصنيفات العنصرية أنا مجرد إنسية جنسها ليس له أهمية، بالرغم من أني متحيزة لحواء بمطالبة حقوقها؛ إلا أنني لم اعتدْ إدخالها عالمي إلا في جناح الضيافة، عذراً لحرصي، أنا قليلة الثقة بها، فهي مخلوقة عاطفية في التحيّز تضع مشاعرها مكيالاً لقياس الأمور، وكيد النساء في الغيرة هو أشد ذروة من القتل المتعمد، اعتدتُ التواصل بشكلٍ راقٍ مع آدم في جميع تصنيفاته وحالاته، يستهويني التحاور مع الرجال، فلهم فلسفة تختلف عن كوكب حواء في المسار والمدار، منطقية التحليل ومضمونية المنطق في التفسير تجعل منهم ماكينات بشرية متطورة في البحث عن البدائل دائماً، هم لا يمتلكون تلك العاطفة المعرقلة لهم في حسم الأمور، والدي هو أول آدم في حياتي والأقرب لي، هو رجلٌ غامضٌ

يصغي كثيرًا ويتحدثُ قليلاً، رجلٌ قد بتر ساعده الأيمن ووضعني مكانه معاونة، لطالما كنتُ فتاته المدللة، علماً بأنّ لدي ثلاثُ أخوات؛ ولكني حظيت بمكانةٍ مختلفة دائماً، اتّبعتُ حزبَ والدي وانشققتُ تماماً عن الخضوع للعيش في جلباب أمي، فهي امرأةٌ متسلطةٌ، اعتادت أن تكونَ الأجملَ في كلِ مجلسٍ تحضره، لها الأفضلية دوماً في فضاء الجلساتِ؛ كقمرٍ ساطعٍ محاطٍ بملحقاته النجمية من النساء، حظيتْ أمي بالدلال الدائم من قِبَل أبي، فهي سيدةُ قصرهِ ومالكة أمرهِ، أسطورةُ حلمه، وابتسامة يومه، هو يحبها بجنون العشاق الذي يزيد بلا منطقيةٍ سنةً تِلو الأخرى، لِإدمان الحبِ سكراتٌ تأخذك لعالم النشوة، فلو لم يكن ذلك منافياً لديانات التوحيد لاتَّخذ بعضُ البشر من الحب إلهًا.

-٥-

سأفتحُ ثنايا قلبي وأُخرج منها دفاتري وأقلامي، سأكتبُ عن أول أبطالي، فبالرغم من أنه قد مضت سنون عدّة على انتهاء القصة؛ إلا أني أدينُ له بالفضل الأكبر بتكوين تفاصيل شخصيتي الحالية، وكالقصص الكلاسيكية مع ابن الجيران قد بدأتْ قصتي معه، كنت بالخامسة عشر من العمر وكان يكبرني بستِ سنوات، هو أول نقطة حبر على صفحاتي البيضاء، شابٌ جمع كل تناقضات آدم في ذات الإناء، لديه عقلية شرقية خام، يخطيء ولا يعتذر أبداً خوفاً من انهزام الكبرياء، شخصٌ فظٌ سليطُ اللسان، كنتُ بالنسبةِ له مجردَ فتاةٍ عابرةٍ يتحدثُ معها؛ حتى وقفتُ متفردةً واحتللتُ جميع الأماكن في قلبه، كنتُ طفلةً ساذجةً وكانت البراءةُ تهطل مني فوق سقف توقعاته بجديتي، لم يأخذ أفكاري على محمل الجد يوماً، بل كنت أيضاً جاهلة بعقل آدم وأساليب التعامل في عالم الرجال، توالت الصدمات واحدة تلو الأخرى، الفتاة العمياء بدأتْ تبصر، لم أعرف معنى الكيد من قبل، أو فلسفة الكبرياء، فقط كنت أحبه كطفلة بلهاء وقعت بيد محتال بالذكاء، لبسني كخاتم، يتركني اليوم دون اكتراث، ويعودني بالغد دون عناء استمرت تلك المهزلة لستِ سنوات، تشوه قلبي بعبثه بي وبُترت عروقي وانقطع نبضي

عن الرغبة بالحياة، تعلمت القسوة، الغيظ، المكيدة، الصرامة، لا أكرهه ولا أحبه الآن، فقد كان لِي مجرد إدمان ولكن لما العجب فالمشاعر تتغير مع مرور الزمان، كان مجرد رجل متسلط بالتملك، لم يستغلني تحت أي ظرف كان، كنت له مجرد أسيرة في قلبه لا يريدني له أو لغيره، يرديني كدُميةٍ لا يلمسُها أحد، يزج بها على الرف الأخير لأختنق بغبار الإهمال، قلب حياتي لجحيم فقد كنت سجينة الجدران، حتى أنفاسي يقوم بإحصائها، تملكني في الحب وظن أني من ممتلكاته ليحلو العبث في عاطفتي كيفما يشاء، نزقه بالغيرة قد يُصبك بالدهشة، فحتى ساعات نومي لا يريدها، ولازال ذلك السؤال في داخِلي يجول لماذا استمريت معه كل هذه المدة؟، لم يكن فيه حسنةٌ واحدةٌ أذكرها له ترحماً على موت ذكراه، الحب الأول فكرة سخيفة جداً، -لقِّبوه بالغباء الأول أو الصفعة الأولى أفضل-، ولم يكتفِ لي بلعن ذكراه بل ساهم أيضاً بحفر أحقر الذكريات في تاريخي الأسود، أريد وضعه على منصةِ من الإعدام ليرجم حتى الموت، لا يستحق ذكره بالاسم، هو لي مجرد نكرة منعوتة بفلان.

-٦-

عند ساعات الغضب قِف، أو حتى تلاشى، اصمتْ، لا تتحرك، وفكر قليلاً قبل أن تتصرف، كنت أقود السيارة أنا وشقيقتي، رنَّ هاتفي، فأجبته، إنه صوت صديقتي، أخبرتني أنها رأته في أحضانِ فتاةٍ أخرى، هذا الخائن، قد سلب مني ستة أعوام من ربيعي اليافع، أغلقتُ الهاتف ودموعي قد انهمرت دون توقف، لم أعُدْ أرى حدود الطريق، تشتَّتَ تركيزي بذلك النبأ، مرَّتْ شاحنةٌ بجانبي فانحرفتُ عن الطريق وحلقت مركبتي بالاستدارة في الهواء وكأنه عرضاً محترفاً في سيرك، واحد، اثنان، ثلاثة، هم عدد الالتفافات، لا أعلم ماذا حدث، رشقٌ من الدم وأنين موت، ماتت زويا، صمتتْ إلى الأبد، لحظات مرتْ كبرهة، أصبحتُ سجينة دهر في لحظة توقف عندها العمر، توفيتْ زويا، نعم بسبب سخافةِ عاطفتي قُتلت، ومن الحب ما قتل، ولكني أنا من قَتلت ولم أُقتل، من أجل حبٍ مراهق قدمت روح أختي قرباناً لبراثن آلهة العشق الأحمق، ما ذنبها سِوى أنها رافقتني إلى نزهةٍ انتهت بها إلى القبر؟ لروحها السلام، دخلتُ أنا في غيبوبة قد استمرتْ ثلاثة أيام وكأن

روحي اختارتْ سُبلَ العزاء بالصمت والرحيل المؤقت، فتحتُ عينيّ على بياضِ حائطٍ وفراش، غُرفَة في المستشفى، تلتفني شرائط متصلة بأجهزة، وجدتُ أبي يبتسم ويقول: الحمدلله، خسارتي كانت بواحدة، عادتْ ذاكرتي فورًا بسماعِ كلماته؛ وليتها لم تعد أبداً، أُصبتُ بنوبةٍ هستيريةٍ من البكاء، صحتُ بزئيرِ الصراخ، قتلتُها، أُقتلوني، فقد قتلتُها، سحبت جميع الأشرطة من يديّ ونزعتُ قناع التنفس الاصطناعي، أردتُ الاقتصاص من نفسي، أنا لا استحقُّ العيش، سارع الطاقم الطبي بتثبيتي وغرزي بالحقن المهدئة، مكثتُ بالمشفى مايقارب الشهر، فقد أُصبتُ في عمودي الفقري، إضافة إلى كسور أخرى متفرقة، خرجتُ من ذلك المشفى لتبدأ رحلة الشقاء مع جلد الذات، لم أكن سوى جثمان يتنفس، حياتي أصبحت رمادية اللون وموشحة بسحبٍ سوداء وأطلبُ من الله في كل لحظة أن يهبني بياضَ الكفن، بعد خروجي من المستشفى بأيام حاولتُ الانتحار بأقراصِ الدواء، ولكن كتبَ الله لِي عمراً جديداً، فهو لا يريد لِي الراحة؛ بل العذاب والعقاب، أصبحت مريضة اكتئاب وبدأتُ بأخذ الأدوية والمهدئات ومضادات الاكتئاب، ازدحمت قائمة

العقاقير في معدتي، ترفعت عن الحياة، حبست نفسي خلف قضبان الغرفة، أرى لغة العتاب واللعن واللوم في مُقلِ أمي ولكنها تحاولُ الكتمان، فهي تعلمُ أنها ستخسرني أيضاً، وكأنها تحاولُ إنقاذَ ما يمكن إنقاذه من تحت الركام.

-٧-

في حضور الكآبة تعتزلُ الابتسامة مواطنها، أصبحتْ الأيام تتطاير بلا حساب، وأنا ما زلتُ عالقة في قاطرة الخطيئة، لم أصل محطة السلام الداخلي بعد، أصبحت حياتي بنكهة العلقم، أدعو ربي أن يتوقف نبضي كل يوم، رحيلها تركني بتشوهات لن تتجمل أبداً مهما حدث، فكرت بالانتحار كثيرًا؛ ولكن بعد محاولتي الأولى أصابني الذعر، فنحن نشتهي الموت ولا نريده، أصبحت صديقة الجدران، غريبة الأطوار، بربع عقل ونصف جسد، واكتمال ذنب، بدأتْ أمي تفقد سيطرتها على التمثيل، عاملتني بجفاف، كانت تقسو علي بكلامها وتتنحى عن محادثتي، سكنتُ المقبرة؛ فقد كنت أذهب لزيارة زويا لساعات طويلة، أحادثها، أشعر بها، بدأ هوس الاتصال الروحاني بها يتملكني، أريد استحضار روحها، أريد سؤالها هل هي غاضبة مني؟ بعد عدة محاولات للبحث عن أشخاص متخصصين في تحضير الأرواح، توصلت أخيراً إلى أحدهم، كانت سيدة غجرية عجوز، ذهبت لطرق أبوابها، كانت تسكن على قمة جبل في منطقة غيرِ مأهولة بالسكان،

أخذت أحد أقاربي معي، شاب أثق به كثيرًا، كان صديقاً لي منذ الطفولة، كان رافضاً تماماً ما سأقوم به ولكنه لا يريدني أن أذهب بمفردي، فقررت صحبتي ومسايرتي لإتمام مهمتي، وصلنا إلى منزلها، طرقنا الباب، فتحت هي ولم تقل أي كلمة فقد تركت الباب مفتوحاً ودخلت، نظرت إلى راجي وقلت له: هل ندخل؟

فقال: أظن ذلك.

تبعنا السيدة إلى الداخل، أشارت إلينا بالجلوس وعندما أردت الجلوس بالقرب منها، صرختْ بصوت مرتفع:

- اذهبي هناك.

وأشارت إلى مقعدٍ بآخر الطاولة وبدأت تهمس بتمتمات غير مفهومة، أرعبني فعلها وكأنها رأتْ شيطاناً أمامها أو ربما رأتْ ملاكاً فهي تبدو من سلالةِ إبليس بذلك الوجه المريع والشعر المتطاير.

قال لي راجي: لا تخافي، إنه جزء من التمثيلية، أنا لا أصدق هؤلاء الدجالين، ولكن أنتِ تريدين ذلك ولن أتناقش معك أكثر بالأمر.

قلتُ له: كفاكَ ثرثرة ودعني أكتشف ذلك بنفسي.

أطفأتْ السيدةُ النورَ وأشعلتْ شمعةً واحدةً حمراء في وسط الطاولة وأحضرت أوراقاً وقلماً أمامها.

سألتُها: هل تريدين أية معلومات لتساعدك باستحضار الروح؟

أشارت بإصبعها على فمها تأمرني بالصمت، يا لها من وقحة، لماذا تتصرف معي وكأنني نكرة بلا قيمة؟!

تحملتُ من أجل غايتي الوحيدة، أنا هنا لأرفع رايتي البيضاء، وأطلب العفو من روح زويا في أرض الموت، تسارعت الأحداث، فتحت الجلسة، تلفظت بلغة لاتينية وتسابقت حروفها ويدها تخط بالقلم على الأوراق بدوائر غير منتظمة وبدأ لهيبُ الشمعة يتراقص مع أنه لم يكن هناك مجرى لتيارِ الهواء في الغُرفة فالنوافذ مغلقة والباب أيضاً ولا يوجد مروحة كهربائية، انطفأتْ الشمعةُ فجأة وأخرجت العجوز أصواتاً غريبة، شعرتُ بتنميلٍ في يديّ وكأن هناك حشرات تزحف على جلدي، صرخت العجوز: أُخرجي من هنا.

وكررت ذلك عدة مرات، لم أفهم ماذا أصابها ولمَ تريدني أن أرحل!

قام راجي بإشعال الضوء، والعجوز قد بدتْ خائفةً مني بشدة، طُردنا من منزلها أنا وراجي وقالت لي: لا تعودي هنا أبداً أيتها الملعونة، أصبتُ بصدمةٍ شديدةٍ وخيبةٍ كبيرةٍ وغرقتُ في دموعي، أمسك بي راجي وأدخلني إلى السيارة محاولاً أن يسيطر على الأمر وطلب مني أن أتوقف عن البكاء:

- روبي، إنه مجرد دجل لا أكثر، لا تصدقي ما حدث هم يريدون المال فقط، عدت إلى المنزل وأنا مذعورة، أقفلت باب غرفتي وعانقت وسادتي باكية حتى غلبني النوم، لعلّي لا أستيقظُ غداً، فهذه هي أمنيتي الوحيدة في كل ليلة، كصلاة لأستدعي بها ملاك الموت لينتزع روحي لعلي أرتاح من وحش الذنب المفترس.

-٨-

لم يكن لدي صباح، بل كنت أبدأ يومي بجنازة، أنا تلك البائسة التي بهتت سبعة من ألوان طيفها، فأصبحت رمادية شاحبة كالظل، كفأر مختبر ينتظر تجارب العذاب بدورانه داخل ترس ليمضي وقته بلا ملل إلى أن يقتله المرض، يومي كان عبارة عن إعادة بالتصوير البطيء تارة وبالسريع تارة أخرى ولكنها تحمل ذات الأحداث بلا زيادة أو نقصان، ذات السحابة التي تغطي سمائي كل يوم حاملة أمطار السُم، فقدت الشهية لمتعة الحياة أصابني اليأس، تلاشت قناعتي بوجود عدل الله، فكل ما حدث لِي اعتبرته سخط وغضب رباني، لم أعد أؤمن بالقضاء والقدر، وهذا ما جعلني أذهب لطرق أبواب الدجالين لتحضير روح زويا كأملٍ أخير لإعادتها إلى الحياة ولو لثوانٍ شحيحةٍ، ولكني لم أجنِ سِوى خيبة الرجاء بفشل المحاولة مع تلك المشعوذة، في ذات الليلة غفوت على كفوف الأوجاع، تخدرت أطرافي، غادرت في غيبوبة نعاس، استيقظت على صوت وشوشة وطنين حاد في أذني، نهضت وأنا أضع يديّ في أذني أحاول تفادي تردد الطنين المدوي وبلمحة سريعة رأيت

وسادتي مرشوقة بصبغ أحمر اللون، ظَننتُ أنفي ينزف ولكن لم يكن هناك أثرٌ للنزف، لم أستوعب الأمر، هاتفتُ راجي وقلتُ له ما حدث، فقال لي: لا تقلقي ربما محاولة مازحة من أشقائك كنوع من تلطيف الأجواء لإخراجك من حزنك، أغلقت الهاتف وحملت الوسادة وذهبت إلى أمي وقمت بوضع الوسادة على الطاولة، قلت لها: ما هذا!! ما الذي تحاولين فعله؟ هل تريدينني أن أفقدَ عقلي وأذهب إلى المصحة النفسية لكي تتخلصي من وجود قاتلة ابنتك زويا تحت سقف منزلك؟! فنظرت إليّ وقالت: فعلاً، أنتِ فقدتِ عقلك وبحاجة إلى رعاية طبية، مجنونة، تريدين لفت الانتباه لك ولمعاناتك بشكل أو بآخر.

تعالت أصواتنا بالجدال، وغادرتُ غرفة الجلوس غاضبةً منها، ومضى باقي يومي بروتينية عادية، وبدأ الموقف بالتكرار، وكنتُ أتجاهل ما يحدث، فلن أقع ضحية لانتقام أمي مني، ذات يوم قررت إغلاق باب غرفتي بالمفتاح لأني سئمت من تغير غطاء وسادتي كل يوم، ولكن ما كان صادماً لي أني رأيت رشق الدماء ذاته على الوسادة ولم يدخل أحدٌ الغرفة، فأيقنت بأني قد أُصبت بشيءٍ لعينٍ بعد زيارتي لتلك المشعوذة،

فلم يمنعني شيء من العودة إليها، طرقتُ بابها مراراً حتى فتحتْ لي النافذة وقالت لي: اذهبي.

فقلت لها: هناك أشياء غريبة قد حدثت لي من بعد زيارتي لك، أخبريني ما الذي قد حدث في ذلك اليوم؟!

فقالت: اذهبي، أنا لا أستطيعُ مساعدتك، لابد أن الأرواح الخبيثة قد تمكنت منك.

فَقُلت: وماذا يعني ذلك؟!

قالت: اختاروكِ لتكوني منهم، اذهبي إليهم وأغلقتْ النافذة فورًا بلا تردد.

أذهب إلى من؟ ما الذي تتحدث عنه تلك العجوز الغبية؟ ذهبت وأنا موقنةٌ بأني قد ارتكبتُ خطأً فادحاً بزيارتها في المرة الأولى، ولمن بعدها توقف ظهور الدماء على الوسادة وبدأت أشعر بالغثيان والكسل ومُيولي للنوم لساعات طويلة ومتواصلة، تصفحت عبر المواقع الإلكترونية عن معلومات عن الأبالسة ومعتقداتهم وعاداتهم حتى

وجدت نفسي منغمسة في جمع كل المعلومات الوافية عنهم، وتذكرت أنه كان هناك فتاة في مدرستي الثانوية كانت تقوم بطقوس غريبة ومثيرة للاستغراب، فهي شخصية مريبة يهابها الجميع وقد أشيع عنها أنها شيطانية ولها نشاطات في الفودو والشعوذة وهنا بدأتْ رحلتي بالبحث عن روزانا، فهي لديها كل الأجوبة الشافية لحيرتي وضياعي.

-٩-

حُرمتُ من تذوقِ حلاوةَ الإيمان لفترة قصيرة حيث طرأتْ تغيرات لم أكن أظنها ستحدُث لِي يوماً، تسممتُ بطعم الإلحاد، اتَّبعتُ طريقَ الضلالِ، مارستُ شذوذ الأفعال وكان هذا بفضل روزانا التى كانت قدوتي في هذا المجال الجديد، أنا لا أفقهُ شيئًا، وجدتُ روزانا بعد بحث دام أسبوعًا بالسؤال عن محل إقامتها، وكان ذلك يثير فضول زملائي السابقين في المدرسة، فقد مرت سنوات على إنهائي لدراستي الثانوية وكل منا ذهب في اتجاهٍ مختلف، البعض ظن أني أريد كتابة مقالة تخص دراستي الصحفية، ذهبت إلى منزلها وقمت بطرق بابها، فتحت الباب وكأنها تنتظرني.

قلت لها: هل تذكريني؟

فقالت: الفتاة البلهاء الثرية من لا يذكرك !!

قلت لها: أريدُ التحدث معك لأمرٍ عاجلٍ هل تسمحين لي بالدخول؟

ابتسمتْ وقالت: تعالَيْ، بترحابٍ شديد.

نظرتُ إليها وآلاف الأسئلة تجتاحني في هذه اللحظة، جلست على الأريكة وقمت بسرد ما حدث لي، فقالت:

- هل تؤمنين بوجود قوة عظمى في هذا الكون؟

فقلت لها:- نعم أنا أؤمن بوجود الله.

ضحكتْ وقالت: ثريةٌ بلهاء، اذهبي، أنا لا أستطيعُ أن أساعدك، اُطلبي من ربك المساعدة.

قلت لها إنني أحتاج لبعض الأجوبة وطلبت منها شرح معتقداتها، أجابتني قائلة: هل مللِت ترَف الحياة وتريدين لعبة جديدة تسليكِ أيتها الثرية؟

فغضبت وقلت لها: ألم تسأليني عن القوة العظمى في هذا الكون وضحكتِ عندما أجبتك؟

أين هو من تظنينه قوياً دون الله إذن ! أم أنك تثرثرين بعشوائية الكلام

لمجرد توهيمي بأنك تعلمين أكثر مني، فنظرت لِي بنظرة دونية وقالت: يلزمك الكثير من التغيير ابتداءً من طلاء الأظافر الوردية وخلع أقراط الفراشات من أذنيك، سنذهب غداً في رحلة تسوق طويلة.

فقلت: أهذا فقط؟ تغيير مظهري، ما هذه السطحية؟

قالت: ألا تريدين الانضمام إلى عالمي؟، إذا رآكِ أصدقائي في هذا المظهر سيقدمونكِ حلوى للآلهة، فنظرتُ إليها بصمت، قالت: اذهبي الآن وغداً سنلتقي في تمام الساعة السابعة مساءً وأحضري صليباً معك.

-١٠-

طرقتُ مداخلَ جهنم من أوسع أبوابها، وراقصتُ لعنةَ المعصية بأحضانٍ دافئة، ولكني لم أكن مُخيرة؛ بل سُيّرت لمصيري كطعمِ صيدٍ في صِنارة، روزانا قرينةُ العصيان كان لها وفيرُ الامتنان من قريني الشيطان، الساعة الآن هي السابعة، قد حان موعدي مع مغامرة الشيطان، التقيتُ بروزانا ومشينا في أحد المجمعات التجارية، روزانا عفريتة المظهر لها حاجبان مسنونان وعينها بإثمد السواد مرسومة وشعرها داكن اللون على كتفيها منسدل، ثيابها سوداء بتصاميم غريبة ومريبة، حتى طلاء أظافرها أسود، قد غطى الوشم أغلب جسدها بأشكال ورموز لم أرَها من قبل، وقد ثقبت أذنها بأقراط متعددة، بات الكل ينظر لها ويعتريه الفضول، كلماتها قليلة ونظراتها ثاقبة، اختارت لي ثيابًا كثيرة سوداء اللون، كلما حاولتُ إعطاء رأيي بشيء ما قامت بوضع أصبعها على فمي كي أصمت، وعندما انتهينا من حفل التسوق الأبليسي، ذهبنا إلى منزلها وقامت بتغيير مظهري كلياً، نظرت إلى نفسي بالمرآة ولم أعرفني، كنت أشبه بمومياء حسناء، تحنطت وبهتت وفقدت رونق الألوان

ولكنها جميلة بهذه الهيئة.

ابتسمت عندما انتهت وقالت: ينقصكِ شيءٌ واحدٌ قلت لها: ما هو؟

قالت: هل أحضرتِ الصليب؟

أجبتها بنعم، وأخرجت الصليب من حقيبتي والذي أخذته خلسة من أمي وأعطيتها إياه.

فنظرت إليّ باشمئزاز وقالت: عليك أن تنسي حمله بهذه الطريقة.

فنزعته من بين يدي وقامت بقلبه، وأشارت قائلةً: أمسكيه هكذا مقلوباً رأساً على عقَب، فنظرت إليه وقلت لها حسناً وماذا الآن؟، وقفتْ جانبي ثم هبطت على ركبتيها وأمسكتْ الصليب المعكوس بالإتجاه وتمتمت بلغة غريبة ونظرت إلي بغضب وقالت: هيا اهبطي مثلي وأقيمي أول صلواتك للملعون، لم أكن مقتنعة بأيِّ شيء ولكني كنت أنفذُ بلا اعتراض، وكأني أتعلم التحدث أو المشي لأول مرة، شعور غير مريح، مريب، مجهول، وغامض، ولكني استسلمت للتيار وسُحبتُ معه نحو برِّ الشرّ؛ ففي هذا الطريق الذي سأسلك لا يوجد أمان،

شعرت بتخدير في جسدي وكأنها تتلو تعاويذ تنهك قواي، وارتفع صوتها وبدأت بتكرار كلمات معينة، شعرت بالغثيان حتى أني فقدتُ الوعي، غبتُ عن الدنيا تماماً، رحلتُ إلى عالم الظلام، وقعتُ في هاويةٍ وعرةٍ نحو منعطف الهذيان، هل أنا في غيبوبة؟ أم أني أتشبث بالحياة في أعجوبة؟، هل كانت تريدني غائبة وقامت بتخديري بتلك الطلاسم أم أن جسدي رفض ما يحدث وقد قرر الهروب نحو اللا وعي؟، لا أعلم ماذا حدث سِوى أني في سجلات الغياب، هجرتْ روحي المكان للحظات من فراق الزمان أو ربما دهر بلا عودة لقواعد الأمان.

-١١-

وبعد قيلولة مجهولة المدة والسبب، أيقظني صوتُ موسيقى الميتال الصاخبة، ظلام شديد مع نور خافت ينبعث من شموع حمراء منثورة في جميع الزوايا، استيقظت وأنا أحمل جميع أوجاع الأرض في رأسي وجدت روزانا تبتسم قائلة: حظك جيد، بدأنا للتو مراسم الاحتفال، نظرت من حولي، فرأيت العديد من الأشخاص، وكأن روزانا تكاثرت فجأة، هناك الكثير من نسلها، صدمت من مشاهدة تلك المناظر المحتشدة، هم يعيشون في عالم مخفي ينتهك المحرمات جميعها، فكل شيء هنا مباح، ذُهلتُ وكأنه أصابني الشلل، جلست في الزاوية أراقب الشذوذ بكافة أنواعه، تفاقمت النشاطات بالكفر، فمنهم قد رسم النجمة الخماسية المعروفة بنجمة الشيطان ورقصوا بداخلها، وآخرون يتعاطون المخدرات والمسكرات بأنواعها ومنهم من يمارس الجنس مع شخص أو أكثر بفُجورٍ معلن، وليزداد المشهد قذارة؛ جاء أحدُ القدّيسين وبدأ بتلاوةِ صلواته الملعونة بتمجيد الخناس ورفع اسمه بالجلال والتعظيم ومن ثم ناوله أحدهم ديكاً أسود وذبحه بخنجر وبدأ بإراقة دمه في

كأس وشرب منه ومرر الكأس وتناول ديكاً آخر وهكذا، هم يحتسون الدماء، يشربون نخب عبادتهم للشيطان، تسمّرتْ قدماي أمام روزانا وهي تقدم لِي القليل من الدم في أحد الكؤوس النحاسية، فقلتُ لها هل جننتِ؟ لن أشرب دماً، فقالت لِي: ستشربينه !!، أردت المغادرة من هذه الأجواء المريضة قبل حدوث ما هو أعظم وأقذر مما رأيت، فقد اكتفيتُ، فأمسكتني ودفعتني نحو الحائط بقوة ووضعت الكأس بقرب شفتاي وقالت لِي بنبرة صارمة: يجب أن تشربيه الآن، فصرخت في وجهها: لا، لن أشرب أيتها المعتوهة، ثم أمسكت فكي ووضعت الكأس بعنف وسكبته في فمي رغماً عني وأنا أصرخ بحالة هستيرية، شربت القليل وبدأت أتقيأ كل مافي جوفي، فصرختُ بها وقلت لها هذا جنون أنا لا أنتمي إلى هنا، لست مثلكم، غادرتُ هاربةً، وهي تصرخ بصوت تصم له الأذن: روبي، عودي هنا، وفررت هاربة من جهنم الأبالسة، من جو الاختلال العقلي والنفسي، عدت مسرعة إلى المنزل وأنا أمطر بسواد الكحل من الدمع، رأتني أمي وتعجبت لمنظري وانهالت علي بالأسئلة، صرخت بها، كفى اتركيني وشأنِي، أقفلت باب

حجرتي ونظرت إلى نفسي في المرآة، لم أعرف نفسي، ظهرت كعزرائيلية تقبض الأرواح، بكيت الليل بطوله، يلزمني آلاف السنين كي أنسى تلك التجربة الحمقاء، أو ربما علي أن أرطم رأسي مراراً وتكراراً بالحائط لعلي أفقد ذاكرتي، هربت من عقدة ذنب بموت زويا لألحق بخرافات ملعونة، تذكرت ما قالت روزانا ألَّا أحزنَ على موت زويا فقد قدمتها قربانًا للآلهة، يا لها من وضيعة ويا لي من ضعيفة، فقد هربت من حزني بما يثبت كُفري، وضعت رأسي على الوسادة وعدت إلى كآبتي المعتادة.

-١٢-

سجينة داخل قوقعتي أتغذى من جسدي وأروي عطشي من دمي، ألتفُ كجنين في رحم اليأس، فالفتيات في سني تغريها صيحات الموضة ولفت انتباه الآخرين بما تتزين به من مساحيق تجميل وعطور، وأنا أغرق في سواد الألوان وإخفاء كل ما هو فتّان، لم تكن طموحي وأحلامي اعتيادية، أعلم أني مختلفة، وأعلم أن يوماً ما سأترك خلفي آثار فخر بصمة أو ربما عارِ وصمة، من يعلم؟ فقد بدأتُ أنحرف تجاه هاوية الضياع، لا تلوموا تربية أولياء الأمور، فإعوجاج فروع الشجرة ليس له علاقة بالجذور، ربما هي طريق للعبور أو رحلة سفرها قد يطول، بعد حفلة الشيطان بات روتين توالي الصباح والمساء يرهقني وما يتوسطهما من الوقت يقتلني، لم أرَ روزانا لعدة شهور، لم أغادر منزلي إلا للضرورة، انطويتُ على نفسي، وشحبَ وجهي، خيّم عليّ الصمت، بدأتْ علاقتي بالتوتر مع والدتي، فهي تتجاهل وجودي دائماً منذ وقوع الحادث وفي كل موقف نجتمع سوياً تنزل بها ستار اللامبالاة على مائدة التشاور، أحبت الجميع ولم يبقَ في خافقها حيزاً يتسعني، ومع ذلك أنا لا أريد لومها، فلم أكن تلك الابنة البارة أو المطيعة لها، وربما لو قلبت الأدوار لتصرفت مثلها، لم تكن علاقتنا جيدة، فحديثنا قد تكدّس

عليه ركام الثلوج، لم أسعَ لإنعاش ما أصابه فتور، فقد تركتُ الأمور بيننا تتدهور دون إصلاح، بدأتُ أشعر مُجدداً بأمورٍ غير اعتيادية، في غرفتي، أنا وحيدة وأشعر أن هناك من يترصدني بالمراقبة، أضع مُقتنياتي ولا أجدها في غضون دقائق، هناك من يعبث بي ولا أعلم ماذا يريد مني، لن أركع لشيطانٍ لعين ولن أدنس كل شيء مقدس حصين، أصابني فوق كآبتي جنون، فأصبحت أهذي باللامفهوم، بدأ سلوكي بالتراجع تدريجياً، نوبات غضب هستيرية، ولحظات موت انتحارية، أصبحت أشكل خطراً على نفسي، فأين المفر من أمسي، ماضٍ حزين وحاضر كئيب ومستقبلٍ لا يغريني إنتظاره، بعد سلسلة من النزاعات النفسية والحروب الداخلية، سقطت قلاعي منهزمة، تزلزل عرش جأشي، فهربت بجرعات انتحارية زائدة من أدويتي لأضعَ حداً للكوابيس اللامنطقة، الانتحار لم يكن اختيار، بل كان لي أفضل قرار، فلمَ أعيش مع قبح الحياة إن كان الموت معشوقي الوسيم؟، أضاجعه على فراش الكفن، وأغازله باللطم والحسرة.

-١٣-

يطولُ عمر من يشقى ليتضاعف عذابه، محاولاتي بالتخلص من حياتي كلها تصبُّ في نهر الفشل، وكأن الموتَ هدفٌ لا أصلُ مبتغاه، حرصتُ على تناول كمية أكثر من الدواء في هذه المرة، فهي طريقة انتحاري المفضلة، وحتى في الموت لا أريد أن أتألم بقطع شريان أو السقوط من أعلى بنيان أو صعقي بالكهرباء، قبل تناولي للدواء بدقائق هاتفتُ صديقتي المقربة، لطالما شاطرتني الأحداث طوال كل هذه السنين، كنت أود أن تكون آخر من أسمع صوته قبل فراقي عن الحياة، نايا هي روحٌ لِي في جسدٍ آخر، صديقة بنكهة أخت، وإن بكيت لفراق الحياة سأهدِي دموعي الأخيرة لها، هاتفتها بصوت مرهق وقلتُ لها تعبتُ جداً، سامحيني، ولا تنسيني أبداً.

صرخت هي بجنون: هل فعلتيها مجدداً؟؟ سأحضر فورًا.

في غضون الدقائق القليلة جاءتْ نايا مسرعة فتحت باب حجرتي تصطحب أمي، أخذتني وهي تصرخ: لماذا تعذبينا هكذا !!

وأخذتني بمساعدة والدتي إلى الحمام وقامت بوضع يدها في فمي لكي أتقيأ وأفرغ الدواء من أحشائي، جلستُ على الأرض أبكي وجلست بجانبي واحتضنتني كما تحتضن الأم طفلتها، بدأت أمي بتأنيبي، فهي بدورها اكتفت بمشاهدة الاحداث تكراراً، فعلاقتي بها تدهورت لحد القنط، طلبت نايا من أمي إعداد مشروبٍ ساخن، أخذتني إلى سريري وجلست بجانبي وأمسكتُ يديّ وهي تبتسم رغم بريق الدموع في عيناها، وقالت: هل كنت ستتركيني وحيدة؟ ولمن تتركيني؟ ألم تكتفي من الحزن والضياع؟ كفاكِ لوماً لنفسك، عليك القبول بقسمة القَدر، أنت تعذبي روح زويا بكل ما تفعلين، عليك الدعاء لها عوضاً عن اللحاق بها، رددت الكثير من الكلمات والجمل وأنا تخدرت للحظات واستسلمت للنوم، ربما نايا محقة، وربما هي تجهل شعوري تجاه حياتي الآن، فشعور المريض يختلف عن شعور الطبيب، فأحدهما يتألم والآخر يعالج، أدوار ذو أحاسيس مختلفة بالتصنيف، وبعد سلسلة من الأيام والأشهر من العزلة لا أرى به سوى سقف غرفتي فقط ومعي ذلك المترصد المجهول تارة يهجرني وأخرى يقتسم معي عزلتي، أنا أشعر

بحضوره، فهو يغرقني بطاقة سلبية دسمة، أشعر بها وكأني ابنة الشيطان المدللة، ولكنها قررت عقوق أبيها، فلن أعود مُجدداً لعالم الأنجاس، وفي يوم رن هاتفني برقم غريب، أجبته مترددة وإذ به صوت روزانا ينبعث بنبرة مختنقة: أنا أحتاج لمساعدتك.

فقلت لها: انسي أمري، أنا لا أريد عبثك الأسود، فقالت: أعلم ولكني أحتاج مساعدتك. وبدت متألمة وكأن هناك سكين يخترق أحشائها، قلقت لحالتها وقلت لها سآتى على الفور، سارعت بالذهاب إلى منزلها وطرقت الباب ففتحت لي واعتلت ملامحي الصدمة، بطنها منتفخ، روزانا في المخاض، يبدو أنه موعد خروج ابن جديد للشيطان، فهم يتكاثرون ليشوهوا نقاء نسل الانسان.

فقلت لها: هل هذا موعد ولادتك؟

فأجابت: أظن ذلك، أريد مساعدتك.

زاد توتري فأنا لا أعلم ماذا أفعل!، فحتى أني لم أرَ قطة تضع أولادها من قبل وكيف لي أن أساعدها، اعتلتْ سلسة من الافتراضات سقف

مخيلتي، ولكني سُيّرتُ في مهمتي الفطرية، بدأت روزانا تتألم أكثر فأكثر لم أعلم كيف أتصرف، ناولتها بشكيراً لتقضم أسنانها عليه وتبدأ بالضغط في لحظات يشتد به الطلق، نصف ساعة من المحاولات الفاشلة في خروج الطفل قلت لها: يجب أن أتصل بالإسعاف، ستموتين أنت والطفل.

فصرخت: لا، لا أريدُ أن يأتي أحد، لم أفهم حرص روزانا على سرية الولادة، أثار رفضها حفيظتي ولكن لم تسعفني اللحظة لمعرفة السبب الحقيقي، وأخيرًا ظهر رأس الجنين كلما دفعت بشدة، وقلت لها ادفعي أكثر بقوة متواصلة، فدفعت بشدة وخرج الطفل من رحمها، سبحان الله، منظر لا يستطيع اللسان وصفه، مشهد من الخيال خروج روح من روح أخرى، طفلٌ ضئيلُ الحجم، ولكنه صامت لا يتحرك، فقالت لي اقلبيه واطرقيه بخفة على ظهره. اتّبعت تعليماتها إلى أن بكى الطفل بصراخ قد تصاعد تدريجياً، وأنا أنظر إليه مبتسمة. لففته بقطعة قماش ووضعته على صدرها لتضمه ويشعر بنبضها، فرفضتْ حتى النظر إليه، فتعجبتُ من موقفها وقلتُ لها: لماذا ترفضينه؟، هل تريدين وضعه

للتبني؟

ردت بنبرة يعتليها اللئم: ألا تفهمي !! كفاكِ سذاجة، أنه قرباناً للآلهة.

صرخت بها: هل أنت مجنونة؟!!!، لن أدعِكِ تقتلي هذا المسكين، إنها جريمة، سأبلغ الشرطة، ابتسمت وردت: اذهبي بسلام وإلا قتلتك أيضاً لتكوني قربانًا، يبدو أنك تجاوزت حدودك وبدأ صبري تجاهك بالنفاد، تمتمت ببعض الكلمات فهي تجيد طلاسم سحر الفودو، وبدأت أشعر بالإختناق عقبها وضعت الطفل على السرير وهرعت مغادرة، وكان هذا هو الفصل الأخير لنهاية مرحلة السواد في حياتي، لم أتخيل أبداً هذا الكم من الضياع، دخلت في دهاليز المعصية والجرائم، لم أكن سِوى شيطان أخرس وبائس، مرحلة دنيئة من الضمور العقلي وتبلد المشاعر.

-١٤-

في غرفتي أعيش في صراع مملكة المجهول، في قوقعتي ووكر مخاوفي دقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، حان الآن موعد الرعب الغرامي، هو على وشك الوصول إلى غرفتي، اعتدتُ على روتين وجوده كزائرٍ ثقيل الظل في معظم الليالي، لم يعد يدب الرعب بي كما فى السابق، تعودت على النوم بينما هو يترصد حركاتي، لم يعد يريبني وجوده، لا أعرف ما الذى يريده من زيارته الليلية لي كل يوم، يقف قرب المرآة فى ذلك الركن المعتم من الغرفة.

صدقاً لم أحاول يوماً أن أنير الغرفة لأراه جيداً أو أعرف ماهيته، هل كان التردد بسبب خوفي من رؤية شكله بالكامل أو الخوف من فتح بابٍ للتواصلِ معه أم أني لا أريده أن يغادر فهو ربما سيختفي على الفور لذلك اكتفيتُ برؤية انعكاسٍ بسيط لإحدى عينيه في المرآة، ويكاد الجزء الذى أراه كافياً لمعرفة أنه مخيفٌ للغاية، أنا لا أرى فى عينه سوى الشر، بئرٌ عميقٌ ومظلم مما يجعلني أتساءل ما هو شكل عينه الأخرى

التى لم أرها حتى الآن؟ هل هي مغارة أخرى مظلمة أم لا يوجد عين ثانية من الأساس؟، فأين النجاة من هاوية النظرات؟، اكتفيتُ بلعبة اللاقُرب؛ وهذا يزيد من العذاب، أحيانًا أريده أن يغادر في الحال وأحيانًا لا أريدُه أن يذهب أبداً؛ فهو يؤنس وحدتي ويكسر قيود العزلة، يقف لساعات وساعات وأنا أغفو ولا أنتظر أحداث أخرى، أكتفي بعزف أنفاسه الجهنمية لتكون سمفونية انتقالي لنهاية العالم وكأن إسرافيل قد نفخ في الصور، اكتفيتُ به سراً بيني وبين نفسي، فحتى إن أردتُ إخبار أحدهم عنه ما الذى سيقولونه عني؟، فأنا لا أملك أي دليل لإثبات حقيقته، بالتأكيد سيقال أني مختلةً عقلياً، فأنا أتعاطى أنواع أدوية كفيلة لتجعلني أغادر بوعي الواقع، من سيصدق فتاة لها تاريخ أسود في عبادة الشياطين وملاحقة أرواح الأموات، فكل ما يحيطني كفيل لإثارة الشكوك من حولي بأني إنسانة غير متزنة فكرياً ونفسياً، وبين الحلم والحقيقة ستبقى بالنسبة لهم مجرد هلوسات ولكني أعلم في قرار نفسي أنها أمور حقيقية ولكني لا أستطيعُ إثباتها، هنيئاً لك يا صديقي المخيف فمعاناتي بك ستبقى سراً تؤرق حياتي ربما للأبد.

-١٥-

ومع جدول معاناتي الليلي، هناك جدول صباحي لا يخلو من الاضطرابات النفسية، عدت إلى حياتي الدراسية، فأنا لن أفني حياتي بين فجوات حزني ومخاوفي، فقد مللت دهاليز حياتي المعقدة وكلما ظَننت أني وجدت المخرج عدت إلى نقطة الصفر لأنطلق منها مجدداً وكأني أحوم في دائرة مغلقة، مارست حياتي بلا روح مجرد جسد هزيل يأكل، يتحرك وينام، لا أبتسم سوى صدفة، اعتزلت الحياة الاجتماعية، أقضي وقتي ما بين الدراسة والشرود وقضيت وقتاً لا بأس به على المواقع الإلكترونية، كنت أجدُ صعوبةً في التعامل مع البشر بشكل مباشر، لا أستلذُ حديثهم أو حتى التعايش معهم، بدأتُ التخفي خلف شاشة الأجهزة لعلي أحجب هشاشتي عن الأعين، تعرفتُ على أحدهم، تحاورنا كثيرًا فهو شخص يسكن في منطقة أخرى في نفس البلد، أمضينا معظم الوقتِ معاً، حتى أني كنتُ أتحدث معه ليلاً متجاهلة كل ما يحدث حولي من رعبٍ على منصةِ وحش الظلام، هو شخص يعاني مثلي من الاكتئاب، وجدنا الكثير من النقاط المشتركة

بيننا، حتى أني سردت له أحداث الليل في حجرتي فكان يستمع إلي بشغف وصدق، ساندني مواسياً، كان باستطاعته أن يحتويني عبر تلك الأجهزة الإلكترونية التي لا تنقل سِوى حروف مكتوبة متجردة من دفء المشاعر، وبعد أشهر عدة، طلب أن يحادثني هاتفياً، فشعرتُ بعدم الأمان، أنا لا أريده أن يخترق حدودي؛ فقد كانت الشاشة لي بمثابة درعٍ واقٍ، رفضتُ وهممتُ بالانسحاب، ولكن ذلك زاد من تعلقه بي أكثر، غبتُ عن الانترنت لأسبوعين فقد أصابني صداع فظيع لم يتوقف وكأن رأسي سينفجر كلما اقتربتُ من جهازي، وحاولت التواصل معه، لا أعرفُ إن كان لزائر الليل يدٌ في ذلك أم أنها مجرد فرط من الأرق، تواصلت معه بعد سلسلة من المحاولات الفاشلة، لم أجده متصلًا بإشارة خضراء ولكني وجدت رسائل منه كثيرة لم أقرأ منها شيء سِوى رقم هاتفه في سطرها الأخير، اتصلتُ به بلا تردد، فكانت أول كلماته لِي، أحبك، وشعرتُ أني أبادله ذات العاطفة، ذهلت بمدى تطور العلاقة بيننا، فلم أتخيل أني سأحب مجدداً أو أني سأشغل قلب أحدهم رغم بؤسي، وكأني قد غفلت عن أني أنثى تنتفض بالعاطفة الجياشة.

ابتسمتُ وقلت له:كفاك جنوناً إنه حديثنا الأول.

سرد الكثير من الكلام ومن بين العبارات انساب الغزل من فمه كاستمالة زجاجة نبيذ على حافة كأس، فانتشيت بعذب كلامه ومخملية صوته الأجش، داعب أنوثتي الغائبة ودعاها للحضور، استحوذ على انتباهي بشكل مبالغ به، وهنا بدأت حالات الإدمان للشعور بالحب والأمان من جديد، ربما هو ليس بفارس أحلامي ولكنه مثلي تماماً، بقايا إنسان لا يريد سِوى الإحساس بالراحة والإطمئنان في نهاية كل يوم.

-١٦-

اجتمع ابن الضياع بحفيدة الأحزان في حفل تعارف أسطوري، بحضور حشدٍ من الآهات على شرع العقاقير الطبية، ولمَ لا؟، فالطيور على أشكالها تقع. لم أكن أدري أن حاجز الشاشة كان مسرحاً أيضاً لإخفاء حقيقة أنفسنا بقناع التمثيل، سأُسمّي ذلك الشخص بالمختل، فهذا ليس تقليلاً من شأنه بل إنه الوصف الأنسب له، لم أكن أعرف أن مجرد مكالمة هاتفية ستكون بوابة عبور لمزيد من القصص المتشابكة، فذلك المختل أرهقه إدماني فسار متخبطاً باتّباعي كظلي، أصبح مصدراً للإزعاج والتوتر، تارة بالتهديد وأخرى بالترهيب، حتى أن الغيرة تجاهي بدأت بالاشتعال من تواجد ذلك المخلوق الغريب معي في الغرفة، يا له من مجنون كيف يغار من شيء مجهول، وكلما دب الخلاف بيننا هددني بقتل نفسه، لم أكن أصدق كلامه إلى أن رأيته ينزف دماً بفعل أداة حادة لمجرد أني أغلقت الهاتف معه بحجة النعاس، أرعبني التعامل معه؛ فرُحْتُ أرى الرعب ليلاً من ذلك الزائر ونهاراً من هذا المختل، أصبح يطاردني ككابوس في وضح النهار، لم أعد أتحدث معه فقد كان

يوترني مجرد سماع صوته، إلى أن انقطعت كلياً عنه بتغيير رقم هاتفي الجوال، انتهت قصته بوضع نقطة صارمة كدخيل إلكتروني أصبح وجوده يثير الشفقة من جهة والاشمئزاز من جهة أخرى، وظننتُ أني سأنجو بنفسي من تحت سخط هذا المختل إلى الأبد، وبعد مرور أسبوع تفاجأت به يقف أمام شرفة منزلي، عندما رأيته أصابني الذعر فلم أستطع الوقوف علماً بأني لا أخاف من رؤية العفاريت التي وحدها كفيلة بإخافة الإنسان، فأنا أنامُ مع أحدهم تحت سقف واحد ولكن تفوق ذلك المختل على زائر الليل في إثارة الهلع بداخلي، لم أكن أتوقع يوماً بأني سأراه أمامي، حضرت والدتي مسرعة إلى الباب لكي تساعدني بالنهوض وحاولَ هو من جهته بمساعدتها في إدخالي إلى صالة منزلي لأجلسَ على المقعد، عرّف بنفسه مصافحاً يدَ أمي في غاية الوقاحة، وقال لها: أنه يود التقدم لي بعرضِ الزواج، تلعثمتْ أمي وقالت: لا أعلم بماذا أجيب، روبي لم تذكر اسمك أمامنا من قبل. ونظرت والدتي إليّ باستغراب، أما أنا؛ فمَا زلتُ تحت تأثير الصدمة، لم أتفوه بكلمة، جاء والدي وتعرف عليه وقام بالحوار معه عن كيفية لقائه بي وأمور أخرى

لم تكن مهمة، نظرت إليه وقد فُكَّت عقدة لساني وقلت له: كنا مجرد صديقين أنا لا أحبك ولا أعرفك حتى، كيف لك أن تتجرأ وتأتي هنا إلى منزلي؟

غضب هو وبدأتْ نبرةُ صوته تعلو باحتدام ودون احترام، غضبَ والدي مما حدث من سيناريو صبياني بامتياز مع رتبة القرف، فوالدي رجل تقليدي جداً لا تعجبه مواقف البطولة للحبيب في اقتحام الساحة لخطف معشوقته، على الرغم من أنه قد فعل ذلك من أجل أمي يوماً، ولكن يختلف الأمر ربما عندما يتعلق بابنته، كأيِّ رجلٍ شرقيّ يغار على عرضه، اتصل والدي بالشرطة، وأخذوا ذلك المختل بتهمة التعدي اللفظي، وبعد ليلة له في السجن ذهب أبي وتنازل عن الدعوة ضده بشرط كتابة تعهد عليه ألا يقترب مني أو من أيٍّ من أفراد العائلة بعد هذه اللحظة، وأعلن والدي سخطه لأفعالي الطائشة بمحادثة الغرباء عبر الإنترنت، ولمَ اللوم؟، فنحن نظن أننا نتخلص من الأشخاص الإلكترونيين بمجرد حظرهم متجاهلين عبث أفكار الكثير منهم بالوصول إلينا لإقتحام الخصوصية أو حتى الانتقام، هي شبكة

إلكترونية لعينة لا تجلب لنا سِوى المزيد من المصائب، أدمناها للهروب فوقعنا في شر، كل ما كان لنا ممنوع أصبح مرغوب، هي ساحات بطولة لكل من فشل في إثبات ذاته على أرض الواقع، فنسج له من شباكها سلالم للصعود نحو عالم الوهم ليعلن بأنه موجود.

-١٧-

الحب في مجتمعنا كالمخدرات وأنا ذلك المروج الذي يتاجر به ولكنه لا يتعاطاه خوفاً من الإدمان، أصبح العشق لِي شيئاً محرماً ربما أقع في المعصية اليوم و أتوب عنها غداً، أنا أشلاء قلب أنثى مبهم، رسب كثيرًا فتعلم، خُذل فتجهم، هُزم فاستسلم، لم يشغلني الكثير، مال وفير، وطموح صغير، وروح فقدتْ التقدير، أنصاف أنسية تعاني من مطاردات ليلة، وكآبات نهارية، مجهولة الهوية لا تحمل سِوى الحزن في جعبتها كقضية، تجاهلتُ حتى نفسي ومن أكون، فبعد إبعاد ذلك المختلِّ عن حياتي عدتُ إلى زنزانة عزلتي من جديد، فغرفتي المسكونة كانت حديث الساعة في مملكة الجدران.

وكأي فتاة تقدم لخطبتها شاب، قام أحدهم لخطبتي، هو طبيب الأسنان الخاص بالعائلة، شاب وسيم، ولديه كل الصفات التي تلجم فم أي فتاة عن الرفض، تحمس والداي كثيرًا له، ولكني لست من هواة الزواج التقليدي، فأنا أنظر لهذا الزواج كرحلة للتسوق واختيار الأفضل من

السلع لك، لا يستهويني التعارف العائلي المنافق، رفضت دون تفكير، ولكن والدي لم يترك لي حرية القرار، أجبرني على الارتباط به وإلا علي الرحيل من سقف حمايته، غصبتُ كثيرًا من موقفه ولكني لم أكن أجادل بالنقاش، فتاريخي مع عائلتي لم يكن مشرقاً أبداً، اخترتُ الرحيل وتركتُ كل ما لدي من مقتنيات ومجوهرات وبطاقات ائتمان، فهذا قد كان شرط والدي، لم يكن يظن أني فعلاً سأقوم بالرحيل، ظن أنه يمارس أساليب الضغط عليّ لأنصاع لطلباته، أعددتُ حقيبة متواضعة وغادرت إلى إيطاليا، فجدتي تعيش هناك وقامتْ بدعوتي للعيش معها، وفي قَرارةِ نفسي أعلم أنه مخطط بين أمي وجدتي، لعلي أغير جدول حياتي في هذه التجربة، جدتي الإيطالية ذات اللسان الذي يتحدثُ العربية بركاكة كانت أحنَّ الأشخاص عليّ؛ فقد احتوتني بسخاء العاطفة، العيش في الريف الإيطالي لم يكن من اختياراتي، فأنا ابنة المدينة التي لا تغريها المساحات الخضراء وجمال الطبيعة بشكل كبير، ولكني مجبرة على الرضوخ، لم أكن أجيد اللغة الإيطالية وتنقصني أيضاً مهارات التعامل الاجتماعي، طلبتْ جدتي من أحد أقاربها أن يوظفني

في مقهى يمتلكه، فهي تريد لِي قتل الفراغ والانخراط بالتعاطي مع البشر؛ لعلني أكتسب تجربة ما من هذه المحاولة، بدأتُ العمل بهذا المقهى وبدأتُ بتكوين علاقة غرامية مع أكيال البُن، كرهتُ كلَّ شيء يحيطني ما عدا رائحة القهوة ومذاقها، أصبحت عاشقة للقهوة، مدمنة لموسيقى الأوبرا التي لم أكن أفهم منها سِوى صراخ جميل وحزن دفين، لم يكن صاحب المقهى يتحدث الإنجليزية فتهنا سَوِياً في زحام اللغة وبدأت الإيماءات تجتاح الأجواء في كل ركن، فكان يغضب عندما لا أفهمُ ماذا يريد حتى أني بدأت بالتعبير عن سخطي لطريقته بالتعامل في كسر الأكواب، ونلتُ لقب 'بازا' بجدارة، فهي تعني المجنونة بالإيطالية، عذراً، فأنا لم أعملْ يوماً بمجال لا يلق بابنة الحسب والنسب، فتاة ولدت والملاعق الذهبية تملأ فمها، وكان لصاحب المقهى ابن وسيم جداً، كلما رأيته تسمرت بالتحديق به، فهو شاب بمواصفات أوروبية بحتة، سرق خصلات شعره من الشمس وأبحرتْ عيناه في البحر ذو بشرةٍ بيضاء؛ تكاد تشفُّ أوردته الدموية منها، وكلما نظر إليّ حلقت في سماء النظرات، وفي وسط الوجنات هناك غمازات توقعني في

فخ الابتسامة، عشقت النظر إليه بصمت، وفي يوم قارب على الانتهاء جاء إلى المقهى لكي يشرف على الأقفال فقد كان والده منشغلاً وبين لحظة وأخرى من الصمت تفوّه بكلمات إنجليزية تنحني باختلاط جمال لكنته الإيطالية معها فقال لِي مبتسماً:

- لماذا يناديكِ والدي بالفتاة المجنونة؟

فابتسمت وقلتُ له: لا تدعني أبدأ بالنميمة عن ذلك العجوز فهو والدك، عليّ ألا أنسى هذا الأمر.

فضحك وقال: أعلم أنه رجلٌ حادُ الطباع، ولكن الحياة لقنته درساً قاسياً بكِ، فضحكنا وعرض أن يوصلني إلى المنزل.

فقلت له: لا تبالي، سيارتي تقف على باب المقهى، نظر إليّ باستغراب، وقال لي: هل تمزحين؟ هل هذه السيارة الفارهة لك؟

فأجبته هي ليست ملكي، ولكنها مستأجرة، فأنا حديثة الإقامة هنا.

فقال: هل تعملين فقط لسداد قسط إيجار السيارة؟

فضحكتُ وقلتُ له: أجل، فأنا أعمل لمجرد قتل الملل لا أكثر.

فقال: يبدو أن والدي محقاً في لقبه أيتها المجنونة.

فنظرت إلية بصمت مع ابتسامة خجولة.

فقال لي: لديك ابتسامة لا تقاوم، عليّ الذهاب الآن قبل أن أقرر اختطافك الليلة.

ابتسم ورحل، بالرغم من اختلاف اللهجات والعادات إلا أنني دائماً أجد أمور غريبة لكي تربطني بقصة ما، ذهبت إلى المنزل وأنا سعيدة للغاية لعلي بدأت قصة جديدة اليوم، ربما انتقالي هنا كان بغاية أفضل لم أكفّ عن التعلق بالوهم، كانت حياتي فارغة جداً حتى إن أتت سفاسف الأمور ملأت فراغاتها بسهولة، أعيش اللحظات دون التفكير بطيش المغامرات، مواقف تسجلها عقارب الأوقات لتنحدر في مجرى الذكريات، حياة البشر محزنة للغاية فهي مليئة بالتعاسة والمعاناة والسعي وراء المثاليات.

-١٨-

الريف الإيطالي، مكان مناسب جداً للإبداع والتطور الذهني، فحتى الهواء له نكهة تنفس أخرى، لم أكن أحب الهدوء المبالغ به والحياة البسيطة، فحتى شبكات الاتصال والإنترنت لم تكُن ذات أهمية كبيرة في ذلك الوقت وفي هذا المكان، ذُهلت في ليلتي الأولى عندما استيقظتُ على صياح الديكة، فإنها تجربة لم أشعر بها من قبل وكأن أحدهم قام بصفعي على وجهي بشدة كي أستيقظ، ولكني أظن أن العادة هي أهم من أن تحب شيئاً أوتكرهه، جدتي الإيطالية سيدة أرستقراطية تنتمي لأكبر العائلات في الريف، وحتى خطوط وجهها كانت توهج بالعراقة، وبلكنتها العربية الركيكة كانت تضحكني بلفظها للكلمات ومحاولات التقرب مني بسرد الفكاهات، اعتنت بي أكثر من اعتناء أمي بي، فاستغلَلْتُ إحدى لحظات الحديث بيننا وقمت بطرح أسئلة ملتوية عن ذلك الشاب ابن مالك المقهى، فابتسمت وقالت لِي: ولِمَ أنت مهتمة لهذا الحد بجمع معلومات عنه؟

فنظرت إليها بإنكار وقلت: أنا؟؟ ولماذا أهتم به فقط مجرد فضول فلا يوجد الكثير من الأحداث في الأرياف لتثرثر عنها يا جدتي.

قالت: أنت لا تشبهين أمك بشكلها فقط، بل لديك أيضاً نفس أساليب الاحتيال والمراوغة، هيا يا فتاة اذهبي وأحضري لِي بعض المستلزمات من السوق، فلدينا عشاء كبير هنا الليلة، فأنا أريد أن أقيم وليمة لأندريا حفيدة أختي بمناسبة زواجها، قومي بشراء فستانٍ ذي ألوان زاهية لتلبسيه واهجري ارتداء الأسود قليلاً.

ذهبت إلى السوق في المدينة المجاورة وقمت بشراء كل ما سجلته في قائمة المشتريات من طعام ونبيذ وحتماً لم أنسَ شراء ثوب خمري اللون لهذا العشاء المزعوم، فأنا لا أحب هذه الأنواع من الاجتماعات وخاصة وأني لا أجيد تحدث الإيطالية سِوى كلمات متفرقة هنا وهناك، ولكني مجبرة أن أتعايش مع تفاصيل وضعي الحالي وحياتي الجديدة، وعدت إلى المنزل ووجدت نساء عاملات يقمن بالطبخ والتحضير لهذا الحفل، ذهبت لأحضر نفسي، فلم يبقَ الكثير من الوقت لكي أجهز، قامت جدتي بطرق الباب ودخلت قائلة: وصل الجميع، فالكل يريد أن يقابل

حفيدتي الحسناء.

فَقُلت لها: سأكون هناك خلال دقائق قليلة.

لم أكن متحمسة كثيرًا لهذا الاحتفال فنزلت ووجدت حشداً كبيراً من أفراد عائلة أمي، قمتُ بمصافحتهم وأنا لا أفهم حرفاً من مجاملاتهم لِي، فقط اكتفيتُ بالابتسامة كالبلهاء، رأيتُ عجوز المقهى وعائلته فكانت هذه هي المره الأولى التي أسّر بها لرؤيته، فهي بشرى سارة على تواجد ابنه هنا، حلَّقت نظراتي في كل جانب لعلي أجده في زاوية ما؛ ولكن سرعان ما أدركتُ غيابه، إنه لم يأتِ معهم، قاموا بالرقص والأكل وشرب نخب العروسين وتبادل الهدايا وأنا لم أكن إلا مجرد مشاهدة متذمرة مع طول فترة العرض ومن خلفي جاءت كلمات تحمل نبرة أعرفها مرددة:

- يبدو أن الفتاة المجنونة 'بازا' ملّتْ عادات الإيطاليين في الإحتفال، فالتفتُّ إليه وقلت:

- ويبدو أنك لم تأتِ مبكراً لأنك لا تحب هذه الطقوس أيضاً.

فضحك وقال: لستِ مجنونة فحسب؛ بل أيضا ماكرة، فمددت يدي مصافحة له وقلت له اسمي روبي هو أفضل من لقب المجنونة ألا تظن ذلك؟ فقام بمصافحتي أيضاً وقال لِي: أنا بيير، ولقبي المغرور أحيانًا، فلست الوحيدة التي تحمل الألقاب وأطلق ضحكاته وخرجت أسنانه البيضاء كالجمان من بين شفاهه لتصيبني وسامته بطلقة أخرى في القلب، نعم هو مغرور، وواثق الخطوة، يعلم كيف يصب سيل نظراته نحوك ومتى يسحب بساط اهتمامه من تحت قدميك، لم أكن أؤمن بالحب من النظرة الأولى وها أنا متورطة به على ما يبدو، أمسك يدي وقام بسحبي معه فقلت له: إلى أين تأخذني فوضع يده على فمي وقال ضاحكاً سأختطفك لبضعِ ساعات، هل تقبلين؟؟

فقمت بهز رأسي بالقبول وهو لايزال يلثمني بالصمت بإصبعه، ركبنا سيارته وبدأت رحلة التشويق فصلها الأول، لم أنتبه على تفاصيل الطريق أو إلى أين نتجه، كل ما كان يشغل بالي هو ابتسامته وحديثه وزخم رجولته، أخذني إلى قمة جبلية عالية، تكشف أنوار المنطقة كلها، خرجنا من السيارة وجلسنا على مقدمتها، لم يجمعنا حديث كثير في هذه

اللحظات ولكن ازدحم الكلام على شفاهنا ووضعنا تحت وطأة عراك النظرات، لامس يدي وأزاح شعري عن وجهي بأنامله واقترب مني يريد تقبيلي فقمتُ بتدارك الأمر بحجة تأخر الوقت وأن جدتي ستقلق لغيابي، فعبس وابتعدَ قليلاً وقال: نعم أنتِ محقة، وركبنا السيارة وكان غاضباً بعض الشيء لعله ظن أني أرفض تقبيله، خيّم الصمت علينا في طريق العودة فلم أجد أية مواضيع مناسبة لتكسر جليد اللحظة فاكتفيتُ أيضاً بالسكوت، وصلنا أمام منزل جدتي وقد قلّ ازدحام مواقف السيارات، يبدو أن أغلب المدعوين قد غادروا، فقد تأخر الوقت، نظرت إليه وقلت: طابت ليلتك فابتسم بمجاملة وغاب نظره عني، وأسرع بسيارته مغادراً، لستُ مضطرة لتفسير تصرفاتي له، فأنا لستُ بفتاةٍ متسرعة، ولا أنجرف بتجديف عواطفي في نهر أحدهم، ولن أستمع لنبضات قلبي الأولى تجاهه، عدت إلى غرفتي، وبدأت ليلتي بحمل مراسم تشييع القلب الي مقبرة الثلج، فمن أنا؟ لم أعد أعرفني، بدت الحياة تأخذ من قناعاتي كثيرًا، فأحسست بالشتات والضياع، دخلت بؤرة الدوامة من جديد، وبدأت بتصفية الحسابات

مع نفسي ومع أمسي، فحتى زائر الليل اختفى من جدول يومياتي، كان وجوده مرتبطًا بلعنة المكنا في منزل عائلتي؟ أم أنه ضجر مني أيضاً ولم أعد موضوعاً شيقاً يشغل باله؟

وغفوت في تلاطم العتاب والسؤال عن كل من غاب.

-١٩-

أهي أنا أم مشيئة الأقدار؟

لماذا أحوم دائماً في دوامة تلتف في لولبة من الأحداث حول نفسها، وكأن الحظ يراني آتية من البوابة، فيسرع هاربة من أي مخرج له، أحمل قافلتي كالبدو الرحّل لأبحث عن واحة استقرار، أطارد لوحات السراب وكأني أعشق اختيار العذاب، انتقالي لإيطاليا لم يكُن خياري الأنسب ولكني أعلم أني سأرحل يوماً، فما زلتُ أحتفظ بنصف أغراضي في الحقائب، فلم أفرغها كلها، بحثتُ عن أسباب تجعلني أبقى لوقت أكبر هنا، فمهمتي في إثبات قيام ثورتي حتى يسقط نظام ديكتاتورية والدي في تزويجي رُغماً عن أنفي، أريد أن أثبت لهم أني أستطيعُ نزع ملعقة الذهب التي يسكتون فمي بها وسأصمدُ أمام جوع ذاتي بالاعتماد على نفسي في توفير قوت حياتي دون الحاجة لمد أيديهم لي بالمساعدات، تحدثت إليّ جدتي وقامت بتشجيعي للانتقال للعيش بروما فهناك الكثير من الشركات التي ستوظفني للعمل في مجال شهادتي

الجامعية، أحببت الفكرة للحظات ومن ثم ظهر بيير في مخيلتي في ومض لقطات متسارعة فَقُلت لها: كيف لِي أن أتركك يا جدتي؟، سأبقى هنا، وسأعمل بالمقهى وسأفكر في أمر الذهاب إلى رُومَا فيما بعد، مضى شهر كامل لم أعرف شيئاً عنه، وكل يوم كنت أتردد في سؤالي لوالده عنه فماذا سأقول له؟ وجدتُ الأمر معقداً أكثر مما بدا، إلى أن وقع عجوز المقهى أسير الفراش، عاودت رؤية بيير من جديد ولكنه كان يتوشح بقناع البرود والتجاهل وقلة الكلام، فكنا نعمل في المقهى طوال النهار صامتين، في أوقات خلو المقهى من الزبائن كنت أستمعُ للموسيقى بينما كان هو يقرأ كتاباً لتعلم اللغة الإسبانية، ولم أعلم يوماً عن سبب وجود ذلك الكتاب بشكل دائم في يده، مرت ثلاثة أيام على هذه الحالة، إلى أن بادرتُه بنظرةٍ عابسة ونبرةٍ غاضبة، قائلة: هل أردت فقط لفت انتباهي لك كنوع من تسجيل نقاط الانتصار في جذب أي فتاة تريدها؟ فنظر إليّ بتذمر وقال: وهل وافيتك بالصد والنفور مثلك كي أثبت لك بأني صعب المنال؟ وما لبث أن شدني إليه وقام بتقبيلي عنوة في وسط ضجيج المقاومات سرعان ما وجدتُ نفسي أستسلم بين ذراعيه

كمراهقة تائهة في حضرة مذاق القبلة الأولى، وبعد فضِّ نزاعات الشغب لتلاحم شفاهنا، نظرت في عينيه وكأنني أراني أروي ظمأي من أنهار السعادة، فلا أعلم أي لعنة رماني بها ذلك الشاب الإيطالي الوسيم، استمرت علاقتي به ثلاثين يوماً، تذوقت الحب معة بنكهة الريف، تنزهنا بين الجبال والوديان، في أحضان النهر ركبنا قارب العشاق، غنى لِي وكان صوته كفيل بترحيل الملائكة ولكني كنت ابتسم له وأقبله فهي خدعتي الوحيدة لإسكاته وبالرغم من ذلك فقد أدمنت بشاعة صوته، عادت لي الابتسامة والتفاؤل وكأن روحي تطالب بفرصة جديدة للحياة، وفي يوم ما وتحت ظروف غامضة سافر بيير إلى إسبانيا، ظننتُ أنه ذهب في مهمةٍ ما تخص عمله، فقد كان سفره مفاجئاً لِي، ودّعني برسالة قصيرة أعطاها لوالده، استغربت عندما سلمني والده الظرف، بدأت بقراءة تعرج خطه بالكتابةِ الذي كان ينافس خط الأطباء في وصف الدواء لعلي أحتاج لصيدلاني الآن كي أفهم ما هو مكتوب، لم تكن الرسالة سِوى بضع كلمات متفرقة كُتبت في عجلة من الأمر، كتب لي: (سأحبك دائماً ليتني عرفتك مُبكراً ) لم أفهم سبب هذه

الجملة ماذا يعني مبكراً عن ماذا كنت متأخرة؟ فسألت والده إلى أين ذهب بيير ولماذا؟ فأجابني بأنه ذهب ليُحضّر مراسم زفافه مع عروسه الإسبانية، لم أستوعب صدمة الخبر، تركتُ المقهى وغادرت مسرعةً لبيت جدتي وأجهشت بالبكاء في غرفتي، بكيت طويلاً ومتقطعاً ومتواصلاً لساعات وساعات، هاتفتني أمي بعد عجز جدتي عن إسعاف حالتي، فهي فشلت في استجوابي عن سبب شجني الشديد، فقالتْ لِي أمي: لا تبكِ، أعلم أنك حزينة لفراقنا وصعوبة الحياة هناك، للأسف كانت أمي تماماً كعمياء في دار السينما، فهي لا ترى الأسباب ولكنها تريد سماع ملخص العذاب بإيجاز، فقالتْ لِي هل تريدين العودة؟ فشعرت وكأنها رمت لِي بطوق للنجاة سيوصلني إلى بر الأمان بعيداً عن دوامة الخيبة، فأجبتها نعم أريد العودة اليوم إن أمكن، فهذا هو الحل الوحيد للهرب مجدداً من مأزق الألم الذي يحاوطني كطوق عنق ضيق يمنعني حتى من لفظ أنفاسي.

-٢٠-

تسقط خيباتي كحبات المطر في بركتي المكتظة بالتماسيح فما عدت أتأثر أو حتى أتذمر فمهما حظي قد تعثر سأعاود النهوض، عُدت أدراجي مع أول طائرة تقلع من إيطاليا في اليوم التالي إلى منزلي حيث توجد عائلتي، لم يستقبلني أهلي بحفاوة الترحيب، فعدتُ أجر ذيول الهزيمة، عدت للحكم الدكتاتوري، أنفذ ولا أعترض، أحب والدي، ولكني لا أتفق مع قراراته، فهو رجل صارم وجامح، إن أراد شيئاً لا يستكين باله إلا إذا وصل لمبتغاه، نظر إليّ وقال: لمَ عُدتِ؟ فقلت له: غادرت بمشيئتي وعدتُ بذات المشيئة؛ ألا يكفيك مثولي أمامك منكسرة؟ ألم تستلذ بطعم الانتصار؟ فقال:

- لطالما حييت ستبقين مدللتي دوماً فسكنك هنا ليس خلف الجدران بل في الأحضان، فابتسم فاتحاً ذراعيه فركضتُ لأرتمي في حضنه باكية وكأني كنت أبحث عن دعوة لحضور حفلة بكاء لعلي أفرغ أثقال صدري وسموم همي، وحتى أمي أذابت قَليلاً من ثلوج شتائها معي

وعبرت عن فرحتها بعودتي، لا شيء أبداً يشبه منزلي، سريري، وسادتي، نافذتي، ستائري، ثيابي، فكل شيء عليه بصماتي، هنا تاريخي، مجرتي، وساحة احتفالي، فتحت خزانتي وإشتممت رائحة ثيابي، افتقدت غرفتي تلك المملكة الصغيرة فأنا الإمبراطورة هنا بلا نزاع أو صراع، انتخاب جبري بلا اعتراض، نمت نوماً عميقاً، واستيقظتُ بعد ثمانية عشر ساعة متواصلة، وكأني كنتُ للنوم جائعة، جلستُ مع أمي وتبادلنا أطراف الحديث عن رحلتي وجدتي والأقارب، فقاطعت حديثي وطلبت أمي من الخادمة إعداد فنجان قهوة لها وتهت أنا في زحام البُن والذكريات، فنادتني أمي مرتين فلم تخرجني من شريط ذكرياتي إلا بالنداء الثالث وقالت: هل أنت على ما يرام؟

فابتسمتُ لأخفي مشاعري أمامها وقلت: نعم لا تقلقي ما زلتُ تحت تأثير الهدوء والانعزال في الريف الإيطالي.

وأعلنت سكوتي، فلو تعلمين يا أمي إلى أيِّ مكانٍ في خيالي حلقت! فأنا سافرتُ ببنات أفكاري ليتذوقن شفاهه مجدّداً وليركضن معه وليطاردنه ببراءة الأطفال، نعم يا أمي، بثالث نداءٍ لاسمي أيقظتني من خيالي به،

وكسرت صمتي وقلت لها: وماذا عن العريس كيف حاله؟!

فنظرت إلي أمي وقالتْ: لماذا تريدين معرفة أخباره وأنت لا تريدينه؟

فَقلت: ربما أريده، فأنا بحاجة لمعرفة بعض التفاصيل.

لم أكن أريده ولكن فقط كنت أريد إعادة المياه لمجاريها وأعود مجدداً لأصب سيلي في نهر والديّ لإرضائهما، تربطني مع والدي علاقة غريبة أنا لا أستطيعُ أن أغضبه كثيرًا وإن فعلت ذلك عدت من جديد لأكفر عن ذنوبي وأقدم ولائي له بالقبول، ثوراتي مجرد انتخابات شكلية تنتهي بفوز الديكتاتور، ربما هو ليس بديكتاتور، لا أدري؛ فمجهر حبي له أعمى ولا أريد الخوض في إطلاق الألقاب عليه، كل ما أعرفه عني أني ألبي أوامره بالسمع والطاعة في نهاية كل أمر، ترتب موعد الخطبة خلال أيام قليلة، رأيت والدي فخوراً وسعيداً فهو يظن أنه اختار لِي الخيرة من الرجال، سعادتي تلخصت في رؤية وجهه وهو يتلقى المباركة من كبار رجال العائلة، أنا لم أكن سِوى جمهوراً أحضر مراسم احتفال الحسناء برجل الأحلام، كان حلم أبي الوردي وكان كابوسي الأسود،

توالت الأيام ووقفت على خشبة المسرح لأمثل دور السعيدة، كسبية أخذت مع غنائم حرب ووضعوها في حانه لتغني وترقص كل ليلة رغم احتباس الدمع في عينيها وتراكم الأسى في قلبها ولكنها مجبرة على تمثيل السعادة بلا شكوى أو استياء، ولتكتمل تعاستي، عاد زائر الليل يتربص لِي في زوايا الغرفه من جديد، فكانت حياتي عبارة عن ساحة محاصرة من كل الزوايا، تمنيت لو أن القدر يتذكرني لأسكن المقابر كجثة هامدة لتنتهي معاناتي، لا أعلم ما هو سر ارتباط ظهور ذلك المخلوق مع حزني، وكأنه يجد الحزن مدخلاً له ليخترق جدران حصني المنيع، وعادت حياتي الجحيمية، وما الجديد فقد أدمنت نفسي المازوشية العذاب الشديد، وأصبحت أنتظر معجزة لأضرب بيدٍ من حديد وأرفض كل قديمٍ وجديد.

-٢١-

فارس الأحلام، أو فارس أبي المختار إن صحَّ التعبير، رجل شرقيّ الجذور وغربيّ المنشأ، شخص من عائلة مرموقة، ثري، طبيب، متحدث، وسيم، متفهم، محاور جيد، رجل متزن لأقصى الحدود، وقد استوفى جميع الشروط المطلوبة ليناسب مستوى عائلتي، لا أنكر إنجذابي له أحيانًا، فقد حاولتُ أن أتعايشَ مع ظروفي المفروضة بالإكراه وأكتسبَ النصر من شرف المحاولة على الأقل، كان شخصاً متحرراً جداً، يريدني أن أشرب الخمر معه وأن أجامل عاداته في السهر، وأن أعري حشمتي ولكني كنت أرفض طقوسه، فأنا لدي مسار مختلف عنه في هذه الحياة، خنق خاتمه الألماس إصبعي؛ وكأني ألبسه في عنقي، جُرّت قدماي إلى وكر الزوجية، نعم فلم تكن خطوبتي طويلة فأبي يعلم جيداً مكر ابنته وأني سأخلق ألف عذر لكي أفسخ خطوبتي منه، فعجَّل بزواجي منه دون التعرف عليه وأخذ الوقت اللازم لدراسته جيداً أو حتى لنصب مكيدة ما للتخلص منه، فوقعت في شباك المسؤولية، زوج، بيت، قوانين جديدة، منذ اليوم الأول انتابني شعور

غريب، ظنته صاحب مبدأ سديد، في ليلة الدخلة لم يمسّني أبداً، علا في نظري قليلاً، فأنا كنت أحتقر سعيه بالزواج مني وهو يعلم أني لا أريده، فقلت بيني وبين نفسي يا له من شخص رائع لا يريد إحراجي أو الضغط عليّ في ليلتنا الأولى، نمتُ في منفاي الجديد، وقضى ليلته هو في غُرفة أخرى مجاورة، تكرر المشهد لشهرٍ على التوالي، بدأتُ بالتحدث إليه والتقرب منه، هو شخص حنون وعذب الكلام، بدأت بتغير رأيي والاقتناع بأن والدي اختار لي شخصاً يناسبني وكم كنتُ عمياء عندما رفضته، فاجأني يوماً بفكرةِ السفر لقضاءِ عطلةِ نهاية الأسبوع في بيته الجبلي، فهو مغرمٌ بالربوع الجبلية، فقبلت الفكرة على الفور وبدأنا بتجهيز الأمتعة وهو قام بتجهيز بندقية الصيد وبعض الأغراض له وانطلقنا إلى بيته الجبلي، عندما دخلت إلى ذلك الكوخ المتواري خلف ازدحام الجبال وسط الغابة شعرت بالذعر والارتباك فقد كان مقبرة حيوانات برية للزينه، رأس غزال حُنّط وعُلّق على الحائط، جلد دب فُرِش على الأرض وهياكل وقرون وأنياب ومخالب لحيوانات عدة نُثرت هنا وهناك بلوحة فنية إجرامية، أنا لست من مؤيدي هواية

الصيد، فقتل الحيوانات لغرض الرماية أو لقتل الملل ليس إلا عمل إجرامي بنظري، بدأت بالنقاش معه؛ وإذ به يصرخ في وجهي بطريقة غاضبة وقد تغيرت ملامحه تماماً بدا لِي وكأنه شخص آخر أراه للمرة الأولى، حمل بندقيته وغادر الكوخ لعله ذهب لقتل المزيد والمزيد من الحيوانات المسكينة، انزعجت كثيرًا، فلم اعتد أبداً أن يصرخ أحد في وجهي بهذه الطريقة الهمجية، حملتُ أمتعتي ودخلتُ إلى غُرفَة النوم لكي آخذ حماماً ساخناً، وعاد هو من رحلة صيده حاملاً لجثة أرنب ألقاه على الطاولة بجانب بندقيته، وصبَّ لي وله كأسين من الكحول ودعاني لأجالسه وأشرب نخب وجودنا معاً، فجلستُ ونظرتُ له وقمتُ بإبعاد الكأسِ بيدي وقلتُ له: عُذراً أنا لا أشربُ الكحول، وأنت تعلمُ هذا جيداً، فدقّ بكأسه على الطاولة بغضب وقال لِي: بل ستشربين، نهضتُ من على الكرسي لأترك له الطاولة فأمسك يدي بطريقة قاسية وحاول تقبيلي بطريقة مستفزة وعنيفة ومزق ثيابي وكأنه يريد اغتصابي، فنفرتُ منه وحاولتُ الابتعاد عنه فانهال عليّ بالضرب والركل وكأني خصماً له، شتمني وخلع حزام بنطاله وجلدني به،

وبعدها شدني من شعري ولفّ يده حول عنقي يحاول خنقي؛ فقمتُ بركله والفرار من قبضةِ يديه، اتجهتُ إلى الطاولة وقمتُ بتناول بندقية صيده وصوبتُها نحوه وقلت:

- لا تقترب مني أيها السادي الحقير وإلا رميتك بالرصاص.

لم يكترث لكلامي ونهض صوبي، فقمت بتصويب البندقية إلى قدمه وأطلقت النار عليها فسقط أرضاً، رميت البندقية وهربت إلى الخارج وانا أنتفض وأرتجف هلعاً، لم أتحكم بأعصابي، اتصلتُ بالإسعاف -فأنا لا أريده أن ينزف حتى الموت- وغادرتُ قبل وصول الطاقم الطبي، هربتُ بعيداً إلى حيث لا أدري، لا أعلم عواقب فعلتي وهل سأحاسب قانونياً أم أنها عملية دفاع عن النفس؟ ذهبتُ إلى منزل صديقتي المقربة نايا؛ فلطالما كانت لِي المنقذ الوحيد في كل مأزق، ذهلت نايا عند رؤيتي بهذه الحالة، قامت بتضميد جروحي وكدماتي، حكيتُ لها ما حدث بالتفصيل لعلي أجد تفسيراً آخر غير أنه شخصٌ عنيفٌ وساديٌ وذو ميولٍ شاذة، لم يوحِ لي يوماً أنه يحمل في داخله وحشاً، أصابني الذهول في كل لحظة استرجعت بها الأحداث، اتصلت بأمي وبدأت بإخبارها

عمّا حدث، فعلم والدي وقام بالاتصال على المستشفيات القريبة من تلك المنطقة ليسأل عنه وليذهب إليه ويرى ماذا ينتظرنا بعد هذه الحادثة من مصائب جديدة، عرف والدي مكان المركز الصحي الذي نقل إليه وقام بالذهاب هناك وتوقع أبي أن يقوم هذا السادي بتبليغ الشرطة واتهامي بالشروع في قتله، ولكي أقوم تبعاً بتسليم نفسي وأثبت لهم أنها محاولة الدفاع عن النفس من خلال آثار العنف في جسدي، فقد سجل في محضر المستشفى على أنه حادث، فقد قام بإصابة قدمه بينما كان ينظف البندقية، فقال له والدي سأتكلم مع المحامي لكي يباشر في قضية الطلاق، وعدتُ إلى منزلي وأنا أجمع حصى الصدمات من قارعة الطريق، لا أعلم ما بال ذلك الحظ اللعين الذي يستهدف حياتي ويصب كل حقده علي وكأني الإنسانة الوحيدة على هذه الأرض التي يقتص منها بأبشع الوسائل، نعم أنا أجمع مبالغ الحزن في حساب بنك اليأس وكم أنا بِالآلام ثرية.

-٢٢-

لا أعْلمْ إن أصبحت أندرج تحت لقب مطلقة؟ فأنا ما زلتُ بكراً ولكنّ الطلاق في عقل مجتمعنا هو كوشم العار، مضحكٌ جداً، مجتمع غربي بعباءة عربية، يظنون أن من يرحل إلى بلاد الاغتراب يُخلف وراءه كل عاداته وتقاليده وليتهم علموا الحقيقة بأننا نصبح أكثر تكلفاً وحرصاً وتعقيداً على توارث تلك العادات كي لا تذهب خلف السحاب، لم يكن فشلاً لِي فهذه ليست بتجربتي، أنا لم أكن صاحبة اختيار وحملت أهلي نتائج كل ما حدث من الألف إلى الياء وكأنني كنت بحاجة إلى مزيدٍ من التوترات لكي تضطرب العلاقة العائلية أكثر مما كانت عليه، فأنا كنت أسكن خلف الجدران فقط وتجاهلت وجودهم بالجوار، يحادثوني فلا أجيب وأختصر معهم كل حديث ممكن، اقترح والدي عليّ السفر إلى زيارة عمي في الخليج ظناً أني سأخرج من حالتي الانعزالية، قبلت عرضه وسافرتُ للبحث عن مخرج للمتعة لعلي أجد بصيص حياة وأعاود عناق أنفاسي من جديد، عمي وزوجته هم أشخاص غاية في الضيافة والكرم، استقبلوني بحفاوة، لم أشعر أني مجرد ضيفة، كان

لعمي ابنة قريبة من عمري اسمها نيرال، كانت فتاة هادئة، تميل إلى المثالية، وكان لنيرال أخوة اثنان تيم وريان، كان تيم شاب وسيم جداً ولكنه أصيب بحادث دراجة نارية وانتهى به الأمر كشخص مقعد، كنتُ أجلس معه كثيرًا من الوقت وأنا أحاول تخفيف الأمر عليه وكسر جواجز الوقت، كنت رفيقته الدائمة في كل خطوة، هو شخص مرهف الحس وطيب القلب، قضينا أجمل الأوقات معاً، كان لدينا ذات المزاج، فكلانا عاشق للقهوة والموسيقى والمطر، وعندما أمطرت السماء يوماً أخذته في نزهة تحت المطر وضحكنا ولهونا كطفلين عابثين يقفزان في برك الماء المتجمعة، فقد دفعت كرسيه المتحرك في أماكن تجمع المَطر متسببة في رشق الماء لتبتل ملابسنا، أصبت بوعكة صحية في اليوم التالي، فقد أصابتني حمى شديدة، تولى تيم دور الممرض بجدارة فقد كان يعطيني الأدوية بمواعيدها ويقيس لي درجة حرارتي، وكان يقرأ لِي قصائد للشاعر نزار قباني ليخفف عني أجواء المرض، لم أتمكن من تذوق اللغة العربية بهذا الجمال من قبل وكأن نزارًا بنفسه يرمي بسحر كلماته على مسامعي لطالما سمعتُ اسمه في السابق ولكن لم أتوجه

لقراءة أياً من كتبه، اجتمع تيم ونزار في بلاط سيدة السقم، فهمست لتيم عندما دنا مني ليُعْطِنِي الدواء: ليتني كنت فتاة لأحد قصائده، فضحك وقال: لو كنتُ نزاراً لكنتِ الفتاة الوحيدة في كل قصائدي، وأسدل ملامحه الجادة وطلب مني أن آخذ قسطاً من النوم، غادر الغُرفة وترك ظله عالقاً يراقص هلوساتي في المرض، استيقظت في صباح اليوم التالي وأنا أشعر بتحسن، فنظرت إلى جانب السرير ووجدت طعام الفطور مرفقاً بوردة حمراء، ابتسمتُ وأخذت الوردة وبدأت أتأملها وأشمها ولم تغادر ابتسامتي شفاهي قط، خرجت من الغرفه فوجدته يجلس وحيداً يتأمل عناق المطر لزجاج النافذة ويتنهد مرتشفاً قهوته، تقدمت منه وناولته الوردة فضحك وقال: الهدية لا تُهدى، ابتسمت بمكر وأنا آخذ الفنجان من بين أنامله وقلت له أنا أقايض وردتي بقهوتك.

نظر إلي وقال: القهوة في حضرة حورية هي خمر، فضحكت وقلت: لا تقرأ لنزار كثيرًا إنه يعبث في عقلك، ونظرت إلى النافذة بصمت فناداني: روبي، أعيدي بريق روحك، فأنت تحبسين نفسك في صندوق وتدفنين

كنزك في مكان ملعون لن يجده أحد.

أجبته ساخرة بصوت العصفورة ياسمينة: هيا يا سندباد شاركني البحث عن الأميرة ياقوتة في المدينة المسحورة.

ضحك وقال: يا لك من مجنونة.

توالت النظرات غير المفهومة بيني وبين تيم، ظننت أنه قد وقع في حبي ولكنه بدأ بتجنبي على عكس ما كان عليه بالتعامل معي في السابق، ورغم ذلك كنت اتعلق به أكثر وكأني أبادل تجاهله لي بهوس الاهتمام، كنت أسارع لمساعدته في تناوله للأشياء التي يحاول إلتقاطها من حوله مما جعل الأمر ملفتاً حتى جاء يوم وسقط كتابٌ من يده فأسرعت كي أناوله الكتاب عن الأرض فصرخ في وجهي: كفى !! وقام بتحريك كرسيه متجهاً إلى غرفته وهو غاضب فنظرت إلى عمي وزوجته وقلت ماذا حدث؟ لما هو غاضب؟

فقالت نيرال: تيم لا يحب أن يساعده أحد فهو منذ ذلك الحادث يحاول الاعتماد على نفسه بالكامل رافضاً قبول أي خدمات منا.

فقال لِي عمي: لا عليك، أعذريه ولا تغضبي لما حدث.

جلست وأنا أتآكل قهراً مما حدث، وتجاهلت تلك الحادثة بيننا ولحقته وطرقتُ باب غرفته فأذن لِي بالدخول، قلت له:

- أنا آسفة لم أقصد أن أحسسك بالعجز ولكني أحاول أن أرد جميلك لي عندما اعتنيت بي وأنا مريضة.

فسقط هاتفه بعيداً عنه فحاول تكرار محاولات التقاطه ولم يتمكن تسمرتُ في مكانِي؛ لم أعلم كيف أتصرف، فنظر نحوي بغضب وقال:

- ألا تساعديني يا حمقاء؟؟

فضحكنا سوياً والتقطتُ هاتفه من الأرض وناولته إياه، تعلقت نظراتي في أهدابه وغرقت روحي في ليل سواد المقل، ولا أدري كيف زلّ لساني بكلمة أحبك تيم.

عبس وقال: أجننتِ؟ أنت بمنزلة نيرال تماماً.

لم تكن أبداً مجرد كلمات قد خرجت من فمه فحسب بل كانت طعنات

موجعة في الصدر، قال لي: أريد أن أنام.

حلَّت بي الصدمة؛ كيف لِي أن أُصرِّح بحبي بهذه الحماقة دون التأكد من مشاعر من أحب؟

تركتُه وعدتُ إلى الغرفة وأنا ألوم نفسي على ما حدث، أحاول استرجاع الموقف آلاف المرات لأجد تفسيرًا منطقيًا لعدم سيطرتي على ضبط لساني، ولم أكفُف عن طرح الأسئلة على نفسي، هل أنا أحبه فعلاً! أم أني أشفق عليه !!

أم هي محاولة لتعبئة فجوتي العاطفية !!!

-٢٣-

شيءٌ ما سرق مني خواتم المسرة وأسرني بأطواق الحسرة، فأنا متعثرة الخطى أحجلُ متكئةً على هودج قُبح البخت في مسيرة قافلة البحث عن مدن الهناء، على أبواب الحظ أقف كمتسولة تطلب جرعة من الغبطة لتخدير قروح التعاسة، تجولت غرب العالم وشرقه لعلي أجد ثغرة سرور أو فجوة قناعة ولكني مطاردة بأشباح الحظ العاثر، موقفي مع تيم أعاد لِي صوابي، أنا لن أكون ضحية حب أحادي الطرف وأعلم جيداً أنه يبطن لِي شعور ما في زوايا قلبة ولكن عجزه حال بيني وبينه لربما يظن أن إعاقته عائق في طريقنا، استمر تيم في تفادي مواجهتي، فقد كان يتجاهل حضوري تارة ويتلهف لحديثي معه تارة أخرى، كانت حرب باردة من الكَرِّ والفرِّ، وفي ليلة من ليالي الهدنة شعرتُ بالضيق فغادرتُ غرفتي فوجدت باب غرفته مشرعاً وهو مستلقٍ في سريرة يحمل كتاباً في يده؛ فاتجهتُ إليه وقلت: هل تريد أن أوصد الباب؟

فقال: لا، دعيه مفتوحاً؛ فقد مللتُ هذا السجن.

فقلت: هل أستطيعُ البقاء؟، فأنا أعانِي من الأرق ولم أستطع النوم مطلقاً، فابتسم وقال: بالطبع، تفضلي.

جلستُ على حافة سريره وقلت له ماذا تقرأ؟ فأغلق كتابه ونظر إلي قليلاً وقال: "عيناك"، أنا أقرأُ "عيناك".

عيناك،

الدمعُ الأسودُ فوقَهما يتساقطُ أنغام بيانِ،

عيناكِ وتبغِي وكحولِي والكأسُ العاشرُ أعمانِي،

وأنا في المَقعدِ محترقٌ، نيرانِي تأكلُ نيرانِي،

أأقول أحبكِ يا قمري !

آه لو كانَ بإمكانِي !

فأنا لا أملك في الدنيا إلا عينيكِ وأحزانِي،

سفني في المرفأ باكية تتمزقُ فوقَ الشطآنِ،

أأسافر دوَنكِ ليلكتي يا ظل الله، بأجفانِي !

يا صيفِي الأخضَر يا شمسِي،

يا أجملَ أجملَ ألوانِي،

هل أرحلُ عنكِ وقصتُنا أحلى مِن عَودةِ نَيْسانِ!

ردد كلمات نزار قباني على شفتيه وكأنه أعاد عزف الحروف بأوتار أنفاسه وعندما انتهى أمسك يدي وحدق في عينيّ وقال: أنتِ كابوس، حلمٌ مزعج يتربص لي حتى في اليقظة، أتعلمين لماذا؟ لأنكِ لن تكوني لِي أبداً، أراكِ أمامِي وأشتهي وصالَ شفتيكِ وأعلمُ أنكِ تماماً كفاكهةٍ محرمةٍ؛ تغريني بلذة الطعم، ولكنك سمٌ قاتل، ولكن شهي أيضاً.

صمتَ قليلاً ثم قال: ارحلي روبي، عودي إلى ديارك، لا تأتي أبداً، تزوجي، أنجبي الأطفال، كوني سعيدة، ولا تترددي،

سال دمعي لقساوةِ كلامه وقلت له:

- لماذا تتصرف معي بقسوة؟ سأبقى هنا بجانبك، أنا لا أريد سواك.

أجاب: يا متهورة، أنا بقايا رجل، فأنا مصاب بشللٍ نصفيّ، لا أستطيعُ حتى....

وصمت. لم يكمل كلامه، فقلتُ له أنا لا أريدُ جسدك، يكفي أن أحظى بقلبك وروحك.

فضحك بسخرية وقال: روبي، روبي، روبي... بالرغم من نضوجك المبهر إلا أنك في قمة السذاجة يا صغيرتي، إلى متى ستكتفين بحبك العذري؟ أنا عاجز حتى عن تحقيق حلم الأمومة لك، وجودك بجانبي سيذكرني بعجزي وإعاقتي في كل لحظة، أنا لا أريدك ولا أريدُ الزواج بكِ، اذهبي، ولا تعودي أبداً، أنا أكره حتى سحر أنوثتك الناعمة، إنها كمخالب وحشٍ تمزقُ أحشائي كلما نظرتُ إليك، بل إنها كجبروت ثعبان ضخم يلتف جسدي الهزيل بالفتك كل لحظة نطقتِ بها اسمي على شفتيك، فتذوب حروفه من عذوبة الصوت.

كررها: غادري روبي...

فاضت عيناي بالدمع ونهضتُ وتركتُ غرفته، ذهبتُ إلى سريري وتدثرت في كفن الوجع، رصاص الكلمات مزق فؤادي، تناثرتْ مشاعري بانفجار تصريحاته لي وجهاً لوجه، ويا ليتني عشتُ صمتَ عشقِه دون أن يطردني من بلاط سلطانه، نفاني عن وطني، وسلب مني الأمان، وجودي قرب تيم كان بمثابة مأوى لي، فأنا مرهقة من قتال المعارك، ضجرتُ ندب الحظوظ والبكاء، فقلبي أصبح كثوبٍ مهتريءٍ بالثقوبِ وكما حاولتُ رتقه ازداد تشوهاً فأصبحَ غيرَ صالح للإرتداء، وأيقنتُ بعد تفكير عميق بأن تيم وإخوانه مجرد رجال، والحياة ليست رجل؛ الحياة تحمل معاني أكبر من خيبات آدم، أنا خلقت أنثى حرة، لِي حرية القرار والعيش باستقرار، سعادتي هي ذاتي، يا نفسي، يا أناي، انهضي من الإنكسارات، فحياتي مستمرة رغم معاناة النهايات، أنا أسطورة الحكايات، لستُ ضحية الانهزامات، سأبدأ من جديد بعد كل نهاية، وسأنهي ما لا يليق بي منذ البداية، سأموت لأحيى وأخلق من عدم، فأنا أجهل مفردات الندم، سأكون أنثى الغد، فحتى اليوم أصبح ماضٍ أزج به في نفايات الذاكرة، أنا المستقبل، لستُ ضعيفة ولن أجرَّ ذيول الهزيمة، تجاربي صفحات كتاب أُقلِّبُها من فرط الفضول وأحرقها عندما أضجر وأنهي القصة دون أن أصبر.

-٢٤-

لم أعلم إن كانت حكايتي مع تيم ستسجل في قوائم الخسارة أم هي بداية بزوغ لجبروت أنثى حديثة الميلاد، أيقنتُ أن هناك تغيرًا ما قد طرأ على تكويني، الصدمات هي أكثر العوامل التي تحدث تغيرات على المرء، عدتُ إلى دياري وعاهدتُ نفسي على أن أثور على خافقي، وترأس عقلي منصب الحاكم، وجحدتُ بكلِّ ما يتعلق بالقلب، لم أكن فرحة لعودتي ولكن أهلي كانوا جداً سعداء ظناً أني أجهضت جنين الحزن من رحم عذابي و أعلم أن زائر الليل هو أكثرهم سعادة على الإطلاق، سخيف جداً أمره، فهو لا يغادر غرفتي أبداً، يسكن تلك الزاوية المظلمة بلا حراك، ولكني لن أنكر هيمنته عليّ طوال الوقت وكأنه يتنقل مع مجرى الدم و يسكن في تجويف المسامات، يقشعر بدني بحضوره فجأة دون سابق إنذار، قرين النحس والفشل وحارس مداخل العلل يقف كعفريت عملاق يوصد الأبواب كلها بإحكام كي لا أغادر، لابد أنه بانتظاري، وكنت بغاية الاشتياق لصديقتي نايا، ولكن يبدو أن نايا لم تكن متلهفة لرجوعي أو ربما لم تشعر بغيابي، فقد

شغل وقتها ذلك الشخص الذي قد ارتبطت به منذ فترة، فرحت جداً أنها وجدت من يكمل نقص عاطفتها فهي أيضاً لديها وابل من الهموم التي تنغص عليها رغد الحياة، وكنت في أشدِّ الحماس للتعرف على سارق قلبها، قامت بدعوتي للعشاء، حبيبها يدعى وسيم، فقد كان فعلاً وسيماً كاسمه تماماً، تبادلنا أطراف الحديث وتحدثتُ كثيرًا عن ذكرياتي أنا ونايا وعن مدى متانة روابط الصداقة بيننا، أنصتَ وسيم لحديثي ولم تغادر عينيه حضوري، شعرتُ بالسعادة العارمة لهما وباركتُ حبهما، فسعادةُ صديقتي هي سعادتي أيضاً، فأنا أريدُها أن تكون أكثر مني حظاً، وإن ابتسم القدر لأحدنا فكأنه ابتسم لكلينا معاً، وبعد أسابيع قليلة تلقيتُ مكالمة من رقم مجهول، وتفاجأتُ بصوتِ وسيم على الهاتف، كان يبدو غاضباً، حمل في طيات سخطه نبرة عتاب، فقلت له:

هل أنت ونايا على ما يرام؟

قال لي: بالطبع لا.

وبدأ بسرد الأحداث التي لم تخلُ من لغة الاستياء والانتقاد لتصرفات

صديقتي، فحاولتُ تهدئةَ الوضع وإيجاد الأعذار والتبريرات المناسبة لها، فطلب رؤيتي ليسرد المزيد من التفاصيل على أن يبقى ذلك الموعد سراً بيننا، فقلتُ له لا تقلق؛ لن أقول شيئًا لنايا، ذهبتُ لمقابلته في أحد المقاهي وقام بشرح أسباب الخلافات بينهم، أيقنتُ أن صديقتي لم تُحسن التصرف، نايا شخصية عنيدة جداً ومتشبثة برأيها دائماً، قمت بإقناعه بفتح صفحة جديدة بينهما، أعلم جيداً أنها تحبه، وتكررت مشاهد اللقاء الثلاثي بيننا، فقد كنتُ أقضي أجمل الأوقات معهما، نشاهدُ فيلماً أو نمارس الرياضة معاً، أو نذهب لرحلة ما، كنت سعيدة لهما، وظننتُ أنها وجدت فارس أحلامها، سرعان ما بدأ وسيم برمي العبارات الخبيثة المبطنة بالسخرية من نايا أمامي لكي يحرجها على سوء تصرفاتها وفي المقابل يقوم بمدحي في الموقف ذاته، لم أفهم مغزاه من محاولة المقارنة بيني وبين نايا، أظن أنه يحاول إشعال فتائل الغيرة في قلبها مني لإفساد صداقتنا، لم يرُقْ لِي سلوكه ولكني التزمتُ الصمت ولم ألفتْ انتباه نايا لما يحدث على أمل أن أكون مخطئةً بظني به، خطط وسيم لعمل مفاجأة لنايا للاحتفال بميلادها وطلب مني المساعدة في

اقتراح المكان والهدية المناسبة لها ودعوة أصدقائنا للحفل، قمت بتلبية طلبه برحابة صدر فكل ما أريد هو رسم الابتسامة على وجه نايا، وبالفعل تمت مراسم التحضير جميعها، رتبتُ لأدق التفاصيل فقد اخترتُ إقامة الحفل في منزل الشاطيء الذي يمتلكه أهل نايا، وجهزنا كل ما يلزم لإقامة حفلة في غاية الروعة، تفاجأت نايا كثيرًا وكانت في غاية السعادة وقضينا وقتًا رائعاً إلى أن فقد وسيم السيطرة على كلامه وتصرفاته بسبب حالة الثمل ونشب خلاف مع نايا في الحفل بسبب مشادة حوارية بينهما، دعوتُ وسيم للخروج إلى الشرفة فأنا لا أريد أن يحتد النقاش بينهما أكثر في مثل هذه المناسبة وأمام الضيوف، حاولتُ السيطرة على انفعاله حين بدأ صوته يعلو شاكياً، اقتربتُ منه وربَّت على كتفه لعله يهدأ فقام فجأة بضمي بشدة في ذات اللحظة التي دخلتْ بها نايا الشرفة، كان المشهد غير منطقي ولا يوجد أي كلمة ستقنع نايا بأنه لا علاقةَ لي بما فعل، ظهرت عليها نظرات الصدمة والاستنكار لما رأت، صديقة الطفولة وعشيق الروح في مشهد غرامي!!

دفعتُ وسيم بعيداً عني واتجهت نحوها للتبرير، فلم تترك لي أي فرصة

صفعتني وغادرت الحفلة على الفور، أحسستُ بالظلم والذنب أيضاً فأنا لم أفعل شيئاً، سوء تفاهم وقع بفعل شخص ثمل لا يعي أبداً أبعاد تصرفاته؛ والذنب أني عقدت حسن النية مع وسيم ولم أنوه عن خفايا تصرفاته بمحاولات زرع الغيرة في قلب نايا تجاهي، غادرتُ الحفلة أنا أيضاً وحاولتُ الاتصال بها ولكنها قامت بإغلاق هاتفها المحمول، ظلمتني، لطالما كنتُ صديقتها الوفية، رفيقة دربها وتوأم روحها، كيف ظنت بي السوء، وكيف لرجل أن يحدث انشطار بين تلاصق أرواحنا، رجلٌ قد صافح الشيطان في برم شر العقد، جهنميٌ هو مكر الذكور، هم محترفون في فنون النصب والاحتيال لإيقاع الأنثى في الفخ، لم يترك لي رجلٌ قابلته حتى الآن أيّة فرصة إلا وعزز الحقد بداخلي تجاهه وتجاه أشباه جنسه، وعلى أبواب علاقتي بآدم كتبتُ يافطة تحمل عبارة (مطلوب رجال، فحالُ الذكور قد طالَه فسقُ الانحلال ).

-٢٥-

يتزاحم البشر في طوابير الأدوار، وأنا في زقاق الانتظار أقف مكتوفة الأيدي، يكتظون كازدحام فقاعات مشروب غازي تم رج محتواه على فوهة العبوة كغليان بركان أمام قسمة الفرص، وأنا عالقة في عنق زجاجة فارغة ومهملة على ناصية رصيف تشريني أراقب عبث مناخ الخريف باصفرار الألوان، أراقب خطوط المشاة، أحصي عدد المنتصرين في عبور الطرق في هذه الحياة، لم أحقق حتى الآن أي من النجاحات التي تعزز الثقة بالنفس، ما زلتُ أبحث عن قصة لها عنوان، كنت وحيدة في وسط الحشود، فحتى صديقة الطفولة حكمت عليّ بالإعدام، رفضت نايا كل محاولاتي في شرح ما حدث، لم تترك لِي حتى حق الدفاع عن نفسي، حاولت جاهدة في خلق ظروف للمواجهة ولكنها كانت تتهرب مني كمجرم ملاحق من العدالة، توقفت عن الاتصال بها وكنت على يقين أن الزمن سينصفني أمامها يوماً.

اقترحت علي والدتي السفر معها لزيارة أخيها في بلد آخر لقضاء العيد،

فسافرنا معاً لزيارة خالي وعائلته، كنتُ فرحة جداً لأني سأرى راجي مجدداً فقد مرَّ وقت طويل لم أتواصل معه فهو صديق الطفولة وصندوقي الأسود، وجودي بالقرب من راجي كان يسعفني دائماً فهو يسعى دوماً لاحتوائي، من بين ثلوج كانون ظهر دفء تعامل راجي معي. كل يوم كان يحضر لي القهوة ويعزف لي على الغيتار فكل هذه الأجواء كانت تخطفني لعالم آخر، وكلما عزف راجي، سافرت مع ألحان غيتاره اللاتيني إلى إسبانيا، كنت أحلق مع الأنغام حول حلبة كوريدا فأتمايل كراقصة غجرية تُدلي شالها الأحمر أمام ثور غاضب دون خوف فألحان الموسيقى وحدها كانت كفيلة بترويض ذلك الوحش، عاملني راجي بلطف وكان يحيطني بالاهتمام، تحادثنا بلغة العيون التي كانت أعمق من لغة اللسان، وكم من صداقة تفوقت على مشاعر الحب، ولكني كنت أرى الحب في عينيه، وكم من فخ عاطفي قد نصب بحجة الصداقة، أنا أعلم بحبه الصامت ولكن ليتني أبادله عمق المشاعر، فعقولنا في الحب لا تختار، أنا لم أجنِ من الحب سِوى تهشم القلب على حافة سكة حديدية قبل الوصول إلى المحطة الأخيرة، أنا لا أجيد الحب

ولا أريده كفاني استنزاف ما تبقى من قلبي المهترئ، وكم من لحظات توفرت بيننا لميلاد قبلة ولكني كنت أتدارك الموقف في الثواني الأخيرة، كان راجي مثالاً للرجل الواعي والناضج فهو يعلم تماماً أن الحب ليس إلا بداية لطريق الفراق، فضّل أن يضحي بتأجج مشاعره كقربان من أجل رسم ابتسامة على وجهي الذي لطالما عانى من الذبول، فثلوج الخيبة قد غطت قمم النبض تضامناً مع حالة الطقس في الخارج، وكلما اشتعل راجي بنيران اللهفة أتيته بصقيع اللامبالاة في الرد، كنتُ أرى الصراع في داخله وكأني أخترق عالمه فأُسدل شراعي مُبحرة في خياله أتراقص بزورقي على أمواج نبضه، كنت أشعر باختناق أنفاسه كلما اقترب مني فهو لا يريد أن يشتم عطري فيصاب بهذيان العناق فهو في كل ثانية يحارب جيوش الاشتياق، تكرر اسم عمار في حديث راجي دائماً فهو صديقه المقرب ويبدو أن عمار لديه الكثير من المغامرات الشيقة التي تجعلك تود لقائه، وأخيراً التقيتُ بعمار؛ فقد حان الآن موعد وضع وجهٍ لاسمه في مخيلتي، دعانا عمار إلى منزله لمشاهدة مباراة كرة القدم لفريقين من الأندية المتنافسة والتي يحرص الجمهور على

متابعة جميع مبارياتهما معاً عن كثب، اندمج المتابعين في مشهد رياضي يحتشد بالحماس والهتافات والشتائم، كنتُ أنا وعمار نشجع ذات الفريق في حين كان راجي وبقية الحاضرين يشجعون الفريق الآخر، فكلما سجل فريقنا هدفاً قام عمار بالرقص أمامِي ويدعوني لمشاركته التهليل بخفة ظل، ورأيت الغيرة تشتعل في عيني راجي، ظننته غضباً لهزيمة فريقه ولكني أجزم أنه لا يعلم ما هي النتيجة حتى الآن، فكل تركيزه قد انصبَّ على مراقبتي أنا وعمار، وقبل انتهاء المباراة قرر راجي الرحيل وقال لي: هيا روبي أنا مرهق أريد المغادرة.

فقال عمار: إلى أين ستذهب يا رجل؟ مازالت السهرة في أولها.

ردّ راجي: بل أريد الذهاب فأنا متعب للغاية.

قال عمار: حسناً، اترك روبي هنا أنا سأوصلها لاحقاً.

سألني راجي بنبرة مستفزة وعينيه تقدح شراراً: هل تريدين البقاء؟

فأجبته: لا، سأرحل معك، ونهضت وألقيتُ تحية الوداع على الحاضرين وغادرتُ مع راجي، فأنا أعلم جيداً أن اختياري البقاء سيقرع طبول

الحرب بين الصديقين، في السيارة التزم راجي الصمت، حاولتُ تخفيف أجواء اضطرابه بالحديث عن النتيجة وأخطاء اللاعبين.

فصرخ فجأة: اصمتي لا تتحدثي، كفاكِ سذاجة، فأوقف السيارة وبدأ بالصراخ. نظرتُ إليه بهدوء وقلت: هل تلظّى بالغيرة قلبك؟

أجابني: غيرة؟ هل فقدتِ عقلك؟؟ ولمَ سأغار !!

فقلت له: كم من الأهداف سجل الفريقين قبل نهاية الشوط الأول؟ فنظر لِي محاولاً تدارك الموقف وهو يعجز عن الإجابة

وقال: واحد صفر لصالح..... وصمت.

قاطعته: قل لي، ماذا أصابك؟

فقال: لم أتمالك نفسي، عمار صديقي وأنا أعلم جيداً جميع أساليبه في محاولة التقرب من أي فتاة ولم أتمالك أعصابي عندما رأيتك تبتسمين له وتنظرين إليه في كل لحظة، نعم تملكتني الغضب لا أعلم لماذا!

ربما لأني أعلم أنه ليس بشخص مناسب لكِ.

قلت: وهل تعتقد أنك تناسبني أكثر منه؟

فقال: نحن نعلم جيداً ماذا يدور بيننا، وأعلم أنك فتاة ذكية جداً وكفانا حديثٌ الآن، فلنذهب للمنزل.

أكملنا الطريق وسحب الصمت تتعانق وتكاد أن تخلق رعداً مدوياً بالقبلات، الحب يكبدنا العناء، وهناك أشخاص يصعب علينا تقبل فكرة تلاشيهم من صور الماضي والحاضر والمستقبل، لذلك علينا المقاومة كثيرًا في جهاد المنطق والتصدي لمشاعر الهلاك، في قاموسي، العشق لا يحملنا إلى النهاية السعيدة بل هو بداية تعيسة لكل نهاية.

-٢٦-

على منصة الهدوء صفق الصمت لنا فقد أدينا أدورانا على أكمل وجه، لعبت أنا دور الفتاة المتجاهلة ولعب راجي دور الرجل العابس، لم يدُم المشهد سِوى نصف دوران عقرب الدقائق لقطر الساعة، وأنهينا ذلك المشهد بإسدال الستار على تلك الليلة، قرر راجي مَدّ فرشٍ من الأسلاك الشائكة بيني وبينه، لم أُحرِّك ساكناً حيال ذلك ولم أبذل جهدًا لتبديل ما أصبح علينا مفروض، تقبلت مزاجيته الجديدة، فإجازتي قد شارفتْ على الانتهاء ولن أرهق نفسي في تقديم مجهود لإذابة الجليد بيننا كي تعود المياه إلى مجاريها، أمضت أمي عطلتها كلها مع خالي وزوجته وأنا أمضيت ما تبقى منها في ربوع التجاهل لراجي، انشغلت العائلة في تحضير عشاء ليلة الميلاد وهي تلك المناسبة المهمة التي ينتظرها الجميع، كنت فيها مجرد متفرجة على ما تحمله أعيادهم من بهجة مصطنعة، زينة، أضواء وهدايا، تزاحمت فيها الألوان ليحتل الأخضر والأحمر والذهبي مناصب السيادة في مملكة الألوان، لم تجرِ العادة أن أهتم لأعياد المناسبات الدينية، فأعياد الدين تختلف في منزلنا، نحن نحتفل بأعياد

الديانتين المختلفتين اللتين يعتنقهما أبي وأمي، كنتُ أحتفل بنفاق المجاملة فقد كان والداي حريصين على المبالغة في الاحتفال بالأعياد لننجذب لحبِّ الدين، مما أصابني بثلوج العاطفة تجاه تلك المناسبات كلها، وقفت بجانب الشجرة أراقب ما علق من زينة وقد ترك كل من الحاضرين كلمة لأحدهم كُتبت على ورقة مستديرة وعلقت بشريط من الستان الأحمر، إلا واحدة كانت معلقة بشريط ذو لون أخضر وقد كتب على الورقة

( عيناكِ مجرة أنبتت العشب في سمائي، ماذا فعلتِ بموازين الكون؟ أحبك )

رأيتُ وجه راجي في انعكاس زجاج النافذة يقف بعيداً يراقب ردة فعلي ارتبكت قليلاً فتقدم وقال: لا تزدادي جمالاً قلوبنا لا تحتمل، ضحكت وقلت:

- إذن لا تنظر إليّ بقلبك. قال:

- ألن تقولي شيئًا آخر؟

فقلت: شيئاً كماذا؟

قال: ألم تقرئيها؟،

قلت: بلى، أين الجديد في ذلك؟

قال: أكنت تعليمن حقيقة شعوري؟

قلت: نعم، فأنت لا تجيد التصنع أبداً وأنا أراهن أن الجميع يعلم بحبك لي، قال:

- وهل يحمل تصريحي أياً من الأخبار السارة لكِ؟

صمتُّ وأنا أطرق وجهي أرضاً فرفع وجهي بيده وصوب لِي نظرة تحمل الكثير من الرجى وكرر سؤاله بصياغة أخرى وقال: هل تبادليني بشيء مقابل إحساسي أو ربما بوادر عاطفة تحمل جزء من ذات المشاعر المتراكمة لك في قلبي؟

قلت: راجي....

فقاطعني وقال: خذي وقتاً كافياً في التفكير أنا لا أنتظر جوابك الآن.

قلت: راجي، أنا لا أريد أن.....

وقاطع كلامي دخول والدتي الصالة وهي تقول: إحترت باختيار الهدايا المناسبة لكل فرد وها قد انتهيت من لف آخر الهدايا سأضعها بسرعة قبل أن يعلم صاحبها أني تأخرت بإحضار هديته، فانتبهتُ لوقوفي مع راجي في وضع غير اعتيادي وقد بدا أن دخولها السريع عطل شيئاً ما يدور بيننا.

قالت أمي: ماذا بكما؟

ردّ راجي: لا تبالي يا عمتي مجرد حوار سطحي واقترب من الشجرة وانتشل الورقه منها، ووضعها في جيبه ومضى باتجاه طاولة الطعام وجلس ينتظر اجتماع بقية أفراد العائلة، عاتبتني أمي بتمتمة:

- ما الذي كُتب على تلك الورقة؟

فأجبتها: لم أقرأها.

وتحركت باتجاه الطاولة، فبدأ أفراد العائلة بالتوافد، التفقنا حول

استطالة مائدة تحملُ أشهى الأطباق، وكان راجي يجلس في الكرسي المقابل لمقعد والدتي حيث كانت تجلس أمي بجانبي، حاولت تبادل النظرات معه ولكن الاستياء احتل الجانب الأكبر من مزاجه، حاولت لفت انتباهه؛ فطلبتُ منه أن يناولني بعضًا من أطباق الطعام التى كانت أمامه؛ فقد كان يقرب الأطباق دون كلام أو حتى النظر لي، تبادل الجميع الحديث حول الطاولة ولكن أنا وهو التزمنا الصمت في أغلب الأوقات، انتهينا من العشاء وبدأ الجميع بتبادل الهدايا وقراءة الأوراق المعلقة على الشجرة فمنها حمل الطابع الفكاهي وأخرى حملت ذكريات ومنها حمل الأمنيات، وورقة واحدة فقدت كانت تحمل اعتراف انتهى بخيبة، استمر السهر حتى الساعات الأولى من الفجر، فانسحب شخص تلو الآخر للنوم، كنت جالسة على المقعد بقرب المدفأة وعلى امتداد الصالة جلس راجي بمكان لا أراه من زاوية مقعدي ولكني أسمع فقط صوت غيتاره وهو يدندن بعض الأنغام المتقطعة بأطراف أنامله لجمل لحنية مشتتة، وأنا كنت أعبثُ في هاتفي أحاول إشغال نفسي عن المواجهة أو الحديث معه فاستقبلت رسالة منه كتب فيها: هل

اشتقتِ لي؟

فأجبته: ربما.

فكتب لِي: هل أقترب؟

فأجبته: هل أنت بعيد؟

فكتب: على بعد عشر خطوات؟

فأجبت: أظن أنهم تسعة ونصف.

فصرخ من مقعده: سأقتلك.

فكتبت: كيف؟

فأجاب: بالقبل.

كتبت له: **Good Night**

نهضتُ وغادرتُ الصالة وسمعتُ لحنًا مدموجًا بضرب الأوتار بنغم غاضب للغيتار وعمَّ الصمت بعدها وأنا أصعد السلالم متجهةً إلى

غرفتي في الطابع العلوي، فغداً هو موعد سفري أنا وأمي، وقد اعتلى تفكيري سحب مكتظة من الغيظ، لماذا لا نتقبل من يسعى إلينا دوماً، لماذا نبادر أحدهم بالصداقة فيبادرنا بمشاعر الحب ويطالبون بالمزيد !! ألا يكتفي الرجال بالصداقة؟ لماذا يطالبون بإقامة شكل آخر للعلاقة؟ فإما للقلب قريبة أو كوني فقط مجرد غريبة فلا يوجد مسافة وسطية بينهما قد ترضيهم.

-٢٧-

قد حان موعد الرحيل، سافرتُ دون وداع راجي، لم أستطع حتى النظر في عينيه، فقد أصبحتْ العلاقة بيننا جافة، لم نعد مترابطين كقرب الشيء وظله، عدت إلى منزلي أنا وأمي وقد أتتنا الأخبار السيئة من حيث لا ندري، وشاء القدر لزوجة أخي أن تقع في قبضة مرض السرطان، غرس الخبر كشق خنجر في الصدر، كنت قريبة جداً منها فقد كانت نيرفانا صديقة مقربة على الرغم من حداثة علاقتي بها بمدة زمنية لا تتجاوز السنة والنصف، ولكنها كانت شخصية تحمل روحاً ملائكية، ذَهبتُ لزيارتها على الفور، فتحت لي الباب وقمت باحتضانها وعندما انتهيت علقت خصلة كثيفة من شعرها على كتفي، عرفتها أنها بدأت رحلة العلاج فجمعت شعرها وقالت:

- يتساقط شعري كالمطر وانهارت بالبكاء، احتضنتها مجدداً وهمست لها:

- هيا بنا، سنذهب لنحل الأمر.

أخذت نيرفانا إلى مصفف الشعر، طلبت منه أن يقص شعرها، وبعد عشر دقائق جلست على الكرسي المجاور وطلبت من مصفف آخر أن يقصَّ شعري كشعر نيرفانا، نعم قصصتُ شعري وجعلت عنقي يتنفس لم أتردد أبداً فهذا أقل ما يمكني فعله كدعم معنوي لها، حرصت على مساندة نيرفانا في وعكتها الصحية بكل السبل المتاحة، لم يكن عمل أخي مناسباً للبقاء بجانبها طوال الوقت فهو طيار قد يغيب يومين متواصلين، نقلت محل إقامتي في بيت أخي مؤقتاً، ذهبت معها يوماً إلى الطبيب، وكنتُ أمازحها لإخراجها من قوقعة المرض، أقلد أمامها والدتي ونضحك وأنا أقول عبارات أمي الشهيرة وكلنا نعلم تفاصيل العلاقة بين الحماة وزوجة الابن فهي كعلاقة عود الثقاب بالكبريت تماماً لا ينقصهما سِوى الاحتكاك الطفيف لتشتعل الحريق، قلدتُ لها أمي في طريقنا لمدخل المستشفى استدرتُ بجسدي ومشيت إلى الوراء واندمجت في التقليد حتى اصطدم ظهري بشيء ما، نظرت نحوه وعلى الرغم من طول قامتي إلا أني لا أرى أمامي سوى أكتاف، رفعت رأسي قَليلاً فرأيتُ وجهاً عابساً لم أتأمل ملامحه جيداً فقلت باستعجال

وحرج: أنا آسفة جداً جداً وأسرعتْ خطواتي باتجاه بوابة العيادة؛ وأنا أحاول ألا أضحك. دخل المارد معنا إلى العيادة نفسها، سبقنا هو لتسجيل اسمه، وقفتْ نيرفانا خلفه لتسجيل اسمها أيضاً وقد بدونا أنا ونيرفانا كقزمتين عالقتين في ظلاله وقد حجب الرؤية كلها أمامنا، قام بتدوين اسمِه في كشف الوصول إلى العيادة وجلس على مقعد الانتظار، دونت نيرفانا اسمها وقد انتابني فضولٌ غيرُ اعتياديٍّ باستراق النظر إلى اسمه، كُتب بخطٍ على عجلة "قيس" واسم عائلته.... بدا اسم عائلته معروفاً، جلسنا أنا ونيرفانا لبرهة صغيرة وقد قامت الممرضة باستدعائها وكان علي الانتظار حتى إنهاء جلستها العلاجية، جالت نظراتي في الغرفة بشكل عشوائي حتى استقرت تجاهه وقد لاح قيسي إليّ بنظراته وأشعل فضولي وكأني قد أُصبتُ بلعنةِ العشقِ من النظرة الأولى مجدداً، برزت ملامحه كتمثالٍ إغريقيٍّ نُحت لتمجيد جمال الآلهة، ابتسم لي وتناول مجلة من أمامي وغرقت عيناه في أوراقها، راقبت كل تفاصيله وحتى أنامله عندما كان يقلب صفحات المجلة، ينظر في ساعته الغالية ويحرك قدمه في توتر.

فتطفلت عليه بالسؤال: هل هذه زيارتك الأولى؟

فتوجه نظراته لي وقال: تتحدثين العربية !! جيد، جيد، وقد بدت لكنته خليجية ولكنه يحاول تقليد لهجتي الشامية.

قلت: تحدث بلكنتك، سأفهمك.

فجاءت الممرضة وقاطعت الحديث واستدعته للدخول لتلقي العلاج، فنهض وتقدّم باتجاهي مُصافحاً وعرفني بنفسه؛ ولم يعلم أن فضولي جعلني أعرف اسمه قال: أنا قيس، آتي هنا في العاشرة كل ثلاثاء، ربما أصطدم بك صدفةً مجدداً ورمقني بعمق نظراته، وقد انصهر قلبي في شهد العسل لصفاء المقل ودخل مع الممرضة إلى الداخل، لم يرحل هو منفرداً فقد شعرت أنه اصطحب معه قلبي، حاولتُ استعادة اتزاني وكأن خرجت من زلزال وفي عقلي مائة سؤال من يكون ذلك الوسيم؟ وما هي قصته؟

-٢٨-

مضت ساعة من الزمن وأنا على كرسي الانتظار، استرجعتُ الحدث مع ذلك الوسيم في مخيلتي، ظننتُ أن العقل يسترجع الذكريات باللونين الأبيض والأسود ولكني استرجعت كل ما حدث بزهو ألوانه، ولم تفارق الابتسامة وجهي أبداً، وكأني على متن جناح طائرة ورقية تراقصت بهبوب الرياح لتأتي نيرفانا وتيقظني من حلمي بسقوط الطائرة على أرض.

قالت: لقد أنهيت جلسة العلاج، أنا متعبة قَليلاً، فلنذهب، وعدنا إلى المنزل، وجدت أخي ينتظر نيرفانا وقد أخذ إجازة لأسبوعين كي يرعاها، فقلت لها: علي العودة إلى البيت إذن، سأتركِكِ مع نسيم، سأتصل بك للاطمئنان عليك ولا تنسَي؛ سأذهب معكِ الثلاثاء لجلسة العلاج.

فأجابت: لا عليك، سيذهب نسيم معي.

فارتفع صوتي بإلحاح واضح وقلت: لا لا سأذهب أنا، شعرت وكأني

بالغتُ في ردة فعلي؛ فأخفضت صوتي وبررت سلوكي وقلتُ:

- دعيني أشعر بأني أساهم في رحلة الشفاء على الأقل باصطحابك، بادلتني بالعناق وقالت:

- أتمنى أن أرد لك الجميل يوماً.

ودعتها بعد أن تأكدت منها بأنني سأذهب معها إلى العيادة في زيارتها القادمة، فلم يعد لِي سبباً واحداً فقط للذهاب بل ازدوجت الأسباب، أريد رؤية قيس مجدداً، وبعد غياب طويل، عدت إلى المنزل ووجدت كل شيء كما تركته، حاولت أن أرتب أولوياتي التي تُركت على رف الانتظار، فقد كانت غرفتي تعوم بالفوضى، بدأت بجمع ثيابي المتسخة من هنا وهناك، حملتها ونزلت لكي أضعها في الغسالة وفي هذه الأثناء دق جرس المنزل ولم يكن هناك من يفتح الباب، فتحتُ الباب بطرف يدي وما زلتُ أحمل الثياب وقد توارى نصف وجهي بها وجدت نايا تقف بالخارج وقد ارتسمت على وجهها ملامح الحرج فقلت لها:

- تباً لكِ، لمَ تتصرفين وكأنكِ غريبة؟

فقالت: ترددت كثيرًا قبل حضوري فكنت خائفة ألا تستقبليني !

فقلت لها: يا لكِ من غبية، ادخلي.

دخلت وجلست وقالت: تركت وسيم، فقد اكتشفت أن لديه علاقة أخرى مع إحداهن في ذات الوقت الذي كان به على علاقة معي، كنت مخطئة عندما رفضتُ الاستماع لكِ؛ فأنا أعلم أنه مذنب ولكني تهربت من فكرة مواجهة الحقيقة، أنا آسفة.

فقلت: لن أسامحك إلا إذا عاونتني في غسل كل هذه الثياب

فابتسمت وقالت: يا لكِ من استغلالية.

تشاركنا غسل الثياب ونتبادل أطراف الحديث عن كل ما فاتنا من أحداث في فترة انقطاعنا فبدأت الثرثرة النسائية التي قد تمتد لساعات دون توقف، لم نترك ثغرة من الصمت، أخبرتها عن قيس، على العلم أنه لم يحدث شيئاً ملفتاً ولكني تحمست في وصف صدفة اللقاء به، فنظرت إليّ وقالت:

- تتحدثين عنه وكأنك فتاة مراهقة تحادث رجلاً لأول مرة في حياتها !!

فتنهدتُ وقلت لها:

- لا أعلم يا نايا، فطيف ذلك الغريب لم يفارقني من ذلك اليوم، وكأنه رماني بسحره فأُصبت بلعنة التفكير به.

فقالت: لا أعلم ماذا حدث، ولكني لم أركِ مسبقاً بهذه الحالة، عليك التريث بمشاعرك والسيطرة عليها؛ فأنتِ لا تعرفين عنه سِوى اسمه،

فأجبت: أنت محقة، وغيرت الموضوع.

انتهت زيارة صديقتي بعد ساعات طويلة من الثرثرة، توجهت إلى غرفتي ونِمت فورًا فقد كنت منهكة، زحفت الأيام ببطء وأنا انتظر يوم الثلاثاء، ما أصعب الانتظار وكأنني أنتظر موعداً غرامياً وقد نسيت حقيقة أنه لم يكن سِوى موعد مريض في عيادة طبيّة، ومع تساقط أوراق الرزنامة يوماً بعد يوم ها هو قد أتى يوم الثلاثاء، وأخيراً كم كنت متحمسة لموعد نيرفانا في العيادة، جهزت نفسي وذهبت إلى منزلها

لاصطحابها، فوجدتُ نسيمًا يحضر نفسه للذهاب معنا، فعبست قليلاً فوجود أخي سيعرقل سلاسة بعض المشاهد التي سبق التحضير لها في رأسي، فقلت لنسيم: لا تتعب نفسك، سأذهب معها وسأهتم بها،

فقال: عودي الى المنزل سأتولى الموضوع بنفسي.

فقلت بعجلة: سأرافقكم إذن.

توجهنا إلى العيادة ودخلت نيرفانا لتلقي العلاج وجلستُ أنا ونسيم في غرفة الانتظار، وقمتُ أنا بالبحث عن قيس من خلال نظراتي ولكني لم أجده، لعله قد بدأ جلسته أو ربما لم يأتِ بعد، وفي غضون دقائق قليلة دخل قيس إلى العيادة وهو يلبس بدلة رمادية اللون وربطة عنق ذات نقوش فاخرة وقد بدا في كامل أناقته، وقد سبق حضوره رائحة عطره الفواحة، رمقني بنظرة وابتسامة خفيفة كادت تخطف أنفاسي وجلس بالقرب منا فقال له نسيم:

- لقد أحببت رائحة عطرك، ما هو ذلك النوع؟

فأجابه قيس: إنه عطر تم تركيبه من دهن العود، فقلت لنسيم بعد انتهاء

جملة قيس: لقد تعرّفت على قيس مسبقاً، إنه من أحد دول الخليج، فابتسم نسيم له وقد بدأ بتبادل أطراف الحديث معه، و كنتُ أنا مجرد لوحة مبتسمة على هامش الحوار، فشكراً لحضور نسيم فقد كان كافياً لتخريب ما رسمته بخيالي عن ذلك اللقاء بجدارة، ولكني علمتُ من خلال الحديث أن قيس قد أتى للعلاج هنا وحده بالخفية عن عائلته، فهو لا يريد لعائلته أن تقلق عليه، وأنه سيمكث فترة هنا، جاءت الممرضة لتصطحب قيس للجلسة فقام نسيم بطلب رقم هاتفه مما بعث في نفسي السرور على حرص أخي بمد جسور التواصل بين قيس بعيداً عن أجواء العيادة وقال نسيم: سأتصل بك أريد دعوتك إلى العشاء في منزلي، أنت ضيفنا هنا وعلينا أن نريك جانباً من كرم الضيافة العربية في بلاد المهجر، ابتسم قيس لنسيم وقال: أشكركما أنت وحرمك.

قلتُ بسرعة وبصيغة نفي وقبل أن أعطي أي مجال لنسيم في الاجابة:

- لا لا، أنا أخته ولست زوجته.

ابتسم قيس وكأن صخرةً كبيرةً أزيحت من على صدره بسماع ذلك،

ألقى علينا السلام وذهب، وقد جلسنا بقية الوقت في انتظار نيرفانا للخروج وقد قمت بالتحدث عن قيس قليلاً لأزرع فكرة حرص نسيم على التواصل معه في أقرب وقت.

-٢٩-

أشعر أني رهينة تحت جناح القدر وكأني وقّعت معاهدة مؤقتة معه من أجل الحصول على جرعة من السعادة قبل انتهاء صلاحية العهد، أعيش يومي وكأنه لا يوجد غدٌ، وجود قيس كان صفحة مزخرفة في كتاب يومياتي الباهت زُيّنت بأجمل الخطوط وأرق التفاصيل والحروف، بعد دخول قيس لجلسة العلاج انتظرنا أنا ونسيم بضع دقائق أنهت فيها نيرفانا جلستها العلاجية وغادرنا بعدها، بدأت حياتي تتمركز حول مواعيد الطبيب وكأني أعيش كل أيام الأسبوع فقط في قيد انتظار يوم الثلاثاء لرؤية قيس وملامسة يده بالسلام، تدريجياً بدأ قيس بفقد شعره كنيرفانا فهو يعاني أيضاً من السرطان، كان يحاول تفادي النظر لي في كل مره يراني فيها فيصافحني بعجلة من أمره ويبتسم ويذهب بتسارع الخطى وهو يلبس قبعته، لم أكتفِ بهذا المقدار فإن موعدنا العابر أسبوعياً لم يعد يشبع لهفتي له، كان تضوّر عاطفتي يشتد في كل أسبوع أراه دون أن أبلل جفاف عاطفتي من ارتواء حديثه، ولكني لا أعلم كيف السبيل إلى وصاله، في يوم من الأيام اتصل نسيم على أمي وقد

كنت أجلس بجانبها، فبدأت بالحديث معه عن تفاصيل دعوة أحدهم إلى منزله فسمعتها تقول لنسيم:

- " أحضره هنا لا تبالِ؛ فإن زوجتك متعبة لا تحملها أعباء التحضير"

ابتسمتُ وأنا أستمع للحديث وأدعو سراً أن يكون الضيف هو قيس، فأغلقتْ أمي السماعة وقلت لها بفضول: هل نيرفانا بخير؟

فقالت: نعم، ولكن نسيم يريد دعوة صديق له على العشاء هنا في منزلنا.

فقلت لها: من سيدعو؟

فقالت: شخص تعرف إليه في العيادة الطبية على ما يبدو أنه شخصية مهمة فقد ألح نسيم بتجهيز عشاء فاخر يوم السبت القادم.

فابتسمتُ لا شعورياً؛ لم يكن لابتسامتي أيَّ موقع من الإعراب فنظرت لي أمي وقالت: لمَ تبتسمين هكذا؟

فقلت وأنا أخفي فرحتي العارمة قدر المستطاع:

- لا شيء فقد تذكرت طرفة أخبرتني إياها نايا اليوم.

فنظرت إلي وكأنها تحاول جاهدة تصديقي.

بدأ العد العكسي لانتظار يوم السبت، جهزت أدق التفاصيل أنا ووالدتي للعشاء حرصت على تنويع قائمة الأطعمة بمختلف الأصناف، بدت أمي مستغربة لاهتمامي وحرصي على المساعدة فهي تعلم أني قليلة المشاركة في جميع المناسبات التي تخص العائلة ولعلها تحاول الاقتناع مجدداً أني أقدم يد العون لها لأني ابنةٌ بارّةٌ، يفصلني عن لقاء قيسي ساعات قليلة كافية لتجهيز نفسي، ذهبتُ إلى غرفتي لأنتقي أجمل أزيائي، كنتُ حريصةً على اختيار فستانٍ كلاسيكيٍّ أسود، ووضعت أحمر الشفاه، ورسمت عيني بالكحل الأسود، وتعطرت بأجمل العطور الباريسية، وانتهيتُ بوضع عقدٍ من اللؤلؤ ليزين عنقي، لعلي نجحتُ في تخمين ذوق قيس في أزياء أنثاه، فهو شخص كلاسيكي يرتدي البدلات الأنيقة دائماً، جاء نسيم بصحبة ضيفه فقد سمعت

صوتهم قادم من الردهة بدأتْ نبضاتي تتوتر وتطايرت فراشات اللهفة في أحشائي، ما بين قوس ونشاب أصابني إله العشق بسهم الإعجاب فتحولت لمجنونة قيس أتراقص هياماً على طبول النبض ورعشة القلب، فما الذي فعله بعقلي ذلك المثير !!، استعجلت بتجهيز نفسي فوضعت اللمسات الأخيرة، نزلت السلالم وخطواتي مترددة، أُذّكر نفسي بأن أتصرف بشكل تلقائي حتى لا أثير انتباه أحد لحالتي، اجتمعت عائلتي لتحيط قيس في جو من الأحاديث والضحك، اقتربت منهم وألقيت التحية فقال والدي لـقيس: هذه روبي ابنتي الوسطى، ابتسم قيس وهو يصافحني ويقول: روبي، كم يليق بك هذا الاسم !!

لم تأتِ مناسبة من قبل كي أعرّف بها عن نفسي فقد كانت لقاءاتنا كلها عابرة تكتظ بالنظرات وتقل بالعبارات، جلست بجانب أختي وقد كنت أحاول استراق النظر إليه وهو يتحدث مع والدي ونسيم، بدا قيس منسجماً في الحديث مع أبي وكأنهم يرسمون خطوط مستقبلية في مشاريع عمل مشتركة، وفي لحظات صماء دخلت في غيبوبة النظرات قاطع والدي خلوة انعزالي في الخيال وقال: هل تقبلين؟؟

صدمت للحظات وقلت له: أقبل بماذا؟؟

فقال والدي: قيس يقيم بعض المشاريع أثناء إقامته هنا فيحتاج إلى مساعدة، هل تقبلين العمل معه لمدة مؤقتة؟

تسمّرت في مكاني وانعقد لساني وتلعثمتُ في الإجابة، صُدمتُ لسرعة الأحداثِ، هل سأعمل مع قيس وأراه كل يوم!! يا لها من فرصة قد قدمت لي على طبق من ذهب.

فقال قيس: ربما روبي لا تريد ذلك، فلا أريد أن أحرجها.

فقلت له برحابة صدر: يسرني ذلك سيد قيس.

قال: حسناً، سآخد رقم هاتفك وسأتصل بك قريباً لترتيب جلسة عمل والتحدث بالتفاصيل كلها.

أنهينا الحديث بدعوة أمي للجميع بالنهوض إلى مائدة الطعام، جلست أختي بجانبي فاقتربت مني وهمست:

- أشتم راحة إعجاب تفوح منك لذلك الضيف !!

فنظرت لها بدهشة وقلت لها: ألا تسكتين؟ سيسمعك أحد !!

تناولنا الطعام وبدا هو مستمتعاً جداً بالأصناف التي حضرتها فقد وضعت قيس تحت مجهري في هذه الليلة، راقبت تفاصيل حركاته، هو رجل يتحدث مع حركة يديه، يعبر بخطوط وجهه، يبتسم كثيرًا ويخفي في عينيه حزناً عميقاً، يلتهمني الفضول لأعرف قصته، أريد أن أعرف كل شيء عنه، بادلني النظرات وظهر واضحاً عليه أنه يحمل لِي إعجاباً متبادلاً ولكني كنت متخوفة جداً مّما هو قادم في ثنايا المجهول، قيس شخصية غامضة، يثير الجدل في حضوره، رجل أعمال بامتياز، يبدو أنه قد أفنى معظم وقته في الصفقات الرابحة، يبدو عليه أنه عنيد، متشبث برأيه، ذو شخصية قوية تبهرك وتستحوذ على انتباهك، قمت بتحليل كل هذا من خلال جلسة واحدة، هو شخصية تصرخ بالرجولة المفعمة على الرغم من مرضه وشحوب تألقه إلا أنه طاغٍ في حضوره، تمنيتُ للحظات بحدوث معجزة فيختفي بها الجميع وأبقى وحدي معه في ليلة اختفى بها القمر ليحل بدر وجهه في عقر السماء.

-٣٠-

وقفت بين برزخ عذوبة طعم اللقاء وملوحة دموع الوداع، انتهت زيارة قيس في ومضة جفن لم أستعذب حلاوة الحديث المنفرد معه، تحت أضواء التجمع و ضوضاء الأحاديث؛ ضاعت هالتي في زحام، ترقبت هاتفي في اليوم التالي لعله يتصل، مضتْ ثلاثة أيام وأنا أنتظر اتصاله على أحرِّ من الجمر أتخبط في أفكاري ربما وجد بديلاً سيساعده، وفي اليوم الرابع تلقيت منه مكالمة فأجبته وأنا في قمة الغضب ولكني كنت حريصة على إخفاء ذلك، بدأ حديثه قائلاً: أعتذر عن التأخير في الاتصال بكِ فقد أصبت بوعكة صحية بسيطة.

أجبتُ متأثرةً: لا تبالِ، صحتك تأتي أولاً، هل أنت بخير الآن؟

قال: نعم، أفضل بكثير ولكني منهك القوى لذلك أنا بحاجة لكِ لإدارة مكتبي في أسرع وقت.

قلت: سأقدم لك المساعدة كما اتفقنا.

قال: أود رؤيتك اليوم في الساعة السادسة مساءً، إن لم يكن لديك أية ارتباطات.

قلت: الوقت مناسب لي سأراك لاحقاً، أرسل لي عنوان المكتب وسأكون في الموعد.

قال: لا أعتقد أني بصحة جيدة ولدي الطاقة الكافية ليكون اللقاء في المكتب سأرسل لك عنوان الفندق الذي أمكث به، فأنا أقضي معظم وقتي طريح الفراش وأحتاج لإجازة اليوم.

قلت: حسناً سأراك اليوم في الساعة السادسة.

أغلقت الهاتف ونظرت الى ساعتي فليس لدي سِوى بضع ساعات، ذهبت مسرعة إلى خزانتي أقلب ثيابي أبحث عن زيٍّ رسميٍّ مناسبٍ للموعد، لبست تنورة عاجية وقميصًا ورديّ اللون من الشيفون له شريط من الستان على الياقة والأكمام، واخترتُ حذاءً له كعب مرتفع ومرصع بالكريستال، سرَّحتُ شعري القصير بطريقةٍ بسيطة؛ فقد كنت حريصة على فرض أناقتي في كل لقاء كان يجمعني به فأحظى على نظرة

الإعجاب، فهو شخص دقيق الملاحظة وله ذوق فريد من نوعه، نظرت الي هاتفي فوجدت رسالة منه بعنوان الفندق، وبعد مرور الوقت توجهت إلى الفندق وقد أحضرت له أزهار التوليب البيضاء لعلها ترسم ابتسامة بسيطة على ثغره، صعدت إلى شقته الفندقية وطرقت بابه، فتح لي وقد ظهر عليه التعب ولكن لم يخيب ظني في منحي ابتسامة من ثغره عندنا رأى باقة الأزهار، قال:

- أحب زهرة التوليب كثيرًا، تفضلي بالدخول.

تناول الأزهار مني عندما دخلت وجلسنا نتحدث سأل عن خبرتي العملية وبعض الأمور المتعلقة في إدارة المشاريع، تحدثنا كثيرًا بشكل رسمي جداً فهو شخصية جادة في عمله، استغرق حديثنا حوالي ساعة متواصلة تم بها الاتفاق على تفاصيل العمل والدوام معه في المكتب الخاص به لفترة معينة قبل عودته لبلاده، أصابني إحباط عندما علمتُ أن تواجدي معه هي فترة مؤقته وأني سأفترق عنه عاجلاً أم آجلاً حيث أنه سيغادر، تغيرت ملامحي فجأة، فقال:

- ما بك؟ هل أتعبك حديثي عن العمل؟ قلت:

- لا، أنا بخير شعرت فقط بصداع طفيف، سأكون بخير.

استأذن مني ونهض عن مقعده وتوجه إلى غرفة نومه وأحضر دواءً للصداع وكوب من الماء، تناولتُ الدواء منه فلامستْ كفي يدَه فشعرتُ بتيار كهربائي يسري في جسدي، تشابكتْ أعيننا بالتحديق وأنهى صمت المشهد بكلمتين. قال:

- عيناكِ تسحران، أطرقتُ برأسي خجلاً، وتابع قائلاً:

- سأعد لك كوباً من القهوة الإيطالية الفاخرة كما لم تشربيها من قبل، فابتسمت وقلت:

- لقد عملت في مقهى للقهوة في إيطاليا لفترة قصيرة، لن تتمكن من إبهاري هذه المرة، أعتذر. نظر إلي بلطف وقال:

- متى سأبهرك يا فتاة؟ يبدو أن محاولاتي جميعها فاشلة. ضحكت وقلت:

- لا لم أقصد ذلك، حسناً أعدك أني سأنبهر في المرة القادمة.

ضحكنا سوياً وهلت المواضيع لتطرق أبوابنا وكأننا غرقنا في بحر من الكلام فلم نقاوم أمواج الحديث المتواصل، ولم يسبح الصمت إلينا في محاولات إنقاذ الوقت، شعرت بحفاوة شديدة، باغتنا الوقت ولم نشعر بدوران عقارب الساعة، نظرت لساعة يدي وصدمت أنها العاشرة مساءً. قلت له:

- عذراً سأستأذن لقد تأخرت. فقال:

- يمكنك البقاء فلا يوجد لدي أي ارتباطات هذه الليلة. قلت:

- لم أشعر بالوقت ولكني تأخرت فعلاً، فقال:

- سأراكِ غداً في المكتب إذن. أجبته:

- سأكون في التاسعة والنصف هناك.

ودّعني بدفء وانطلقت في ممرات الفندق أبحث عن المصعد فأشار إلي مبتسماً أن المصعد خلفي مباشرة، وما العجب فقد فقدت ذاكرتي وكل

تركيزي وتركتُ قلبي وعقلي دون جسدي الذي غادر ضائعاً دون قيس، وقتي معه أخذ بي لعالمٍ جميل لم أودْ مغادرته، عدت إلى المنزل متخبطة بين عثرة وحجل؛ فعثراتي كانت إحباط فراق وحجلي كان تفاؤل لقاء، أنا تلك العاشقة غريبة الأطوار، فُطر قلبي على حبه وكأني خلقت من ضلعة، وترعرعت بين خلايا دمه، وكبرت على يده، رجل اختصر معنى الرجولة وفهو حقاً فارس الأحلام وأيضاً فارس الصحوة، موعد انتظار جديد تفصلني عنه ساعات قليلة ولكني أفلست بالصبر.

-٣١-

في هذا الليلة الفقيرة بالصبر، عاد غائب الليل إلى أحضان كوابيسي من جديد، بعد فترة غياب طويلة رجع بطل مخاوفي ليطل من زاويته المظلمة على عالمي، أتى ليذكرني بظله المعتم فيصب ببرود زفيره على مداخل أنفاسي الساخنة، يتربص لي وكأنه يترصد نبضات التوتر في شرياني فلا يقترب أو يبتعد، حتى غافلتني سكرات النوم، دخلت في نوبة نوم عميق وكأن أحدهم رمى بطلاسم النعاس على جفني، خطفني إلى عالمه، استيقظتُ فجأة من نومي وقد عانقتني بالجبر ذراعيه، رجل مغطى بتبر العسجد، يشدُّ ساعده حولي كلما حاولت التملُّص من قبضته، فيلتفني كأفعى التفّت حول غصن شجرة، لعلها تريدني أن آكل الثمرة لأطرد إلى الجحيم، نظرتُ من حولي فوجدت نفسي في جهنم، حتى أني لم أشتم طيب الجنة. رأيتُ نهراً من اللظى وسماءً من الثلج وجبالًا شامخةً تمتدُ إلى ما لانهاية، وأرضًا لزجةً بلون الزبرجد؛ إن مشيتَ عليها ابتلعتك، وطيور ضخمة لها ريش ملون ومخالب حادة تحوم بين ثلوج السحاب، وحيوانات مفترسة غريبة الشكل تصيب

القلب بالرّهاب، وكأني نفيت إلى عوالم الخفاء، فنمى شعري القصير لينسدلَ على خَصري بخُصلاتٍ كثيفةٍ متشابكة، فأرخى رجلُ الرماد صكَّ ذراعيه حولي؛ وبدأ يلفُ شعري على راحتيه، يسرّحه لساعات وساعات، وكلما حاولت الفرار؛ شابك خصلات شعري بين أنامله متشبثاً فأستسلم له كدميةٍ سقطتْ بين يدي عملاقِ طفلٍ ساديٍّ؛ قد برع في تكسير الألعاب، وكلما حاولت النظر إليه ابتسم بملامح مخيفة؛ وكأن ذلك المخلوق كان نتاجًا لنكاحِ إنسيّ وجنية، فأثار في قلبي عاصفة لا ترحم من الريبة، وكأني سجينةُ حارسِ الكوابيس، فكنتُ عشيقته المكللة بالهلع، كرهتُ كل لمساته؛ فالرعب قد سيطر على دلاله لي، فداعبني ببراثنه وصكَّ أنيابه على شفاهي، وتعالتْ صرخاتي بالاستغاثة لعلي أجد مهرباً من افتراسه، فجاء صوتٌ على مدى الأفق البعيد يناديني، روبي، روبي، فنهضتُ من كابوسي فوجدتُ أمي بجانبي، كنتُ أتصبب عرقاً وقد جفَّ حلقي، وسكن عينيّ الرعبُ.

قالت أمي: كنت تصرخين بطريقة هستيرية، وناولتني كوباً من الماء، فنظرت إلى مقر ذلك العفريت في تلك الزاوية المشؤومة فلم أجده.

جلستْ أمي إلى جانبي واحتضنتني فكسرت حرارة أمومتها صقيع جميع القيود التي حالت بيننا منذ وفاة زويا، ضمتني إلى صدرها كما لم تفعل منذ سنين، بدأتْ بالغناء الحاني وأسدلتْ يدها على شعري، شعرتُ بالراحة والطمأنينة، لطالما كنت معها في علاقة ما بين المد والجزر ولكني حرصتُ دائماً على تجنب التصادم معها، هدنة السلام بيننا جعلتني أشعر بأني طفلة لم تكبر، ولا تريد أن تكبر، فقط تريد أن تنام في ربوع أمومة الأحضان.

-٣٢-

كطفلةٍ عابثةٍ تلهو على رصيفِ الانتظار، أقضي ساعاتٍ طوال في رسم زهر أحلامي بلقاء قيس بالطباشير؛ فأُزين الموعد بزهو الألوان وأدعو الله بوابل من سيل الأمطار ليروي بذور صبري، فيأتي وقت المطر ويقبل ثغر الزهر ويمسح كل ما رسمت بلمح البصر، ولو عرفتُ أن الغدر سيكون من المطر لنقشت مواعيد اللقاء كلها على الحجر، تأنّقتُ للقائه، ارتديتُ فستاناً عاجياً بلا أكمام وربط عليه حزام بلون الخيزران وعانقته بمعطف ربيعي ذو لون خمري، كفتاةٍ تزور الأحلام جنّته بكامل أناقة الهندام، في التاسعة والنصف كنتُ أقف على باب مكتبه وجدته منتظراً وهو يحرق لفائف تبغه ويرتشف القهوة من فنجانه.

قلت له: صباح الخير !!

فأجابني: صباح الأزهار، تبدين مشرقة كالشمس.

فابتسمتُ بابتسامة رقيقة وقلت: شكرًا.

نهض من كرسيه متجهاً نحوي، وقف خلفي ومدَّ يديه ليساعدني في انتزاع معطفي فهمس لي: لم تسرقي من الزهر جمال شكله فحسب وأيضاً تحملين عطره.

وكم تمنيت أن يتوقف الزمن، ودعوتُ لعقارب الساعة بالثبات؛ فأنا بقرب رجل يأسرني وكأني سجينته منذ سنوات، فحتى قلبي في حضوره مفضوحٌ بالنبضات يخفق في الدقيقة آلاف الخفقات، لمَ تعلقت به لهذا الحد !!

قاطع شرودي بإشعال سيجارةً أخرى، فقيسي مدخن شره لا يطفيء سيجارة حتى يشعل الأخرى مسرعاً. قال:

- هل لديك خطة عمل معينة؟

أجبته: بالطبع، سنبدأ كالتالي....

قمت بشرح أسلوبي في إدارة المشاريع، أمضيت يوماً طويلاً من الشغل الشاق فوضع الأسس الأولية كان من أهم الأمور التي يجب الاتفاق عليها، وبعد ساعات وجدته يتكأ برأسه على يده وقد بدا مجهداً، فناديتُه

بصوت حاني:

- قيس، يمكنك الذهاب تبدو متعباً سأهتم بما تبقى من عمل اليوم، فقال:

- أشعرُ بصداعٍ يلتهمُ رأسي كوحش همجي بلا رحمة، قلت:

- أشعرُ بك.

نهضتُ من مقعدي وأمسكتُ يده وقلت له:

- هيا سأوصلك إلى الفندق ومن ثم سأعود لأنهي عملي.

أمسكَ يدي بشدة؛ وقد صبَّ حمله كله على قبضةِ يدي ونهض من كرسيه وتوجهنا معاً إلى سيارتي.

ركبنا وانطلقنا نحو مكان إقامته، لم يكن حاضرَ الوعي تماماً، فقد سرق الألم حتى تركيزه بوجودي، في غضونِ دقائق قليلةٍ وصلنا إلي الفندق وقد ترجّل من سيارتي، ولكن خطواته كانت غير متزنة؛ فنزلت فورًا وقمت بإسناده على كتفي وتوجهت -مترنحةً قَليلاً- معه إلى المصعد

الكهربائي لكي أوصله إلى غرفته، وعندنا وقفت أمام الباب قال لِي بصوت خافت:

- سأهتم بنفسي، يمكنك الذهاب. قلت:

- وكيف أتركك بهذه الحالة؟ قال:

- أنا معتاد على مرضي لا تشغلي بالك. قلت:

- حسناً، سأجلس معك قليلاً لكي يطمئن قلبي.

دخلتُ معه ووضعته على فراشه ثم أحضرتُ له كوبًا من الماء الفاتر، وجلستُ على الكرسي المجاور لسريره وأنا أنظر إليه بهلع، وقد كانت نظراتي كفيلة بتفريغ كل ما يدور في قلبي. قال:

- روبي، لكِ قلبٌ كالطفل.

صمت ولم أعلم ماذا أقول، فقد خانني التعبير. أكمل قائلاً:

- من قلبي أشكرك، زوجتي لم تهتم بي هكذا.

نظرتُ إليه بصدمة شديدة وأنا أستنكر ما قال. قلت له:

- زوجتك؟!! هل أنت متزوج؟؟ قال:

- ربما نعم.

صمتَ للحظات وأنا أنتظر منه الخبر اليقين على سؤالي مع نظرةٍ من الاستغاثة بتكذيبِ ما قال لعله يمزح، كيف لي أن أستبيح حرمة من كان ملكاً لغيري؟؟ ولمَ لم يلمح بأمر زواجه من قبل؟؟ ولمَ لا يلبس خاتماً للزواج، تمالكتُ نفسي من الانهيار وقلتُ له على عجلة من أمري:

- يبدو أنك أفضل الآن، سأغادر وسأطمئن عليك لاحقاً.

هرولتُ هرباً، وانفجرتُ بالبكاء وأنا أنزل الدرَج، لم تتضحْ الرؤية أمامي؛ فدموعي قد انهمرت بقوة شلال، سُحقاً لحظي العاثر؟؟

لمَ تنتظرني الأوجاع دائماً على ناصية الحلم؟

وحدي وسط دوامة من الخيبة وقد ابتلعتْ تلك الدوامة كل ما أملكه من آمال، ذهبتُ إلى منزلي وارتميتُ في أحضان الفراش، أدعو الله أن يرزق روحي فراق هذه الحياة.

-٣٣-

أحترقُ، فتلهج النيران الأخضر واليابس مني، حاولتُ أن أطفئ نيراني بدموع الندم، مارستُ حياتي وكأن قيسًا شيءٌ لم يكن، ذهبتُ للعمل في مواعيده، وكنت أتجاهل وجوده، أحاول أن أتجنب الحديث معه والتودد له أو الخوض في نقاشات خارج نطاقات العمل، ربما لاحظ قيس التغيير الشاسع في تعاملي معه، فقد كنتُ ألمحه يرمقني بنظرات التأمل من خلف نافذة الزجاج الفاصلة بين مكتبي ومكتبه، ولكني كنت أتجاهل مبادلته بالنظر إليه، وتسارع الزمن في المرور وتوالت الأيام والأسابيع وأنا أتبع ذات الحمية العاطفية فقد كنت بحاجة لإرادة قوية، أرى كل ما يشتهي قلبي أمامي ولكني أمتنع عنه، في يوم ما تغيب قيس عن العمل وقد أصابته وعكة صحية أخرى، كنت أتصل به يومياً للاطمئنان عنه وتزويده بمستجدات العمل، كنتُ بحاجة لأخذ توقيعه على بعض الأوراق، أخبرته يومها أني سأزوره عند انتهائي من عملي لكي آخذ توقيعه على الأوراق، ذهبتُ إلى الفندق بعد انتهاء الدوام.

كانت حوالي الساعة الثامنة مساءً، فتح الباب لي مبتسماً وقد أمسك بيدي بسرعة ومن ثم قام بإغلاق عينيّ بكفيه لم أعلم ماذا يحدث فقد بلغ الصمت مبلغه مني.

مشيت بقيادته وأنا معصوبة العينين حتى أزاح السواد، رأيتُ طاولةً طعام مزينةً بالشموع، وباقةً كبيرةً من الورد الجوري وُضعت جانباً، نظرتُ إليه وأنا لا أعرف ماذا أقول من هول الصدمة، وأخيراً انطلقت كلماتي التائهةُ مني:

- لماذا تفعل كل هذا؟ فأخذ يدي وقبلها وقال لي:

- دعيني أرسم نفسي في ذاكرتك كما أشاء، فأنا راحلٌ عنك يوماً، دعيني أتركُ بصماتي الخاصة ربما تذكريني صدفةً فتبتسمين، أو ربما لذكراي ستنسين، دعيني أكفّر عن ذنوب الزمن فهو لم يُرتب لنا فرصةً مبكرةً باللقاء تحت ظروفٍ أفضل، ليتني لم أكن مريضاً، ليتني أستطيعُ العيش معك عمراً طويلاً، دعيني أحبك لأيام أو ربما شهور، فأنا لا أعلم متى

يقصر العمر أو يطول.

وضعتُ أطراف أصابعي على فمه وقد انهمر الدمع علي خدي، احتضنني بقوة وقال لي:

- كفى، لا تمزقي قلبي أكثر.

أعلم أنه متزوج ولكني لم أهتم لوجود تلك الغريبة في حياته وكأنها هي من كانت الدخيلة عليّ، نظرتُ إليه بعد صمتٍ من العناق حتى أغرقنا شفاهنا بالقبل، ولكني لم أستطع المقامرة في عاطفتي، قاطعتُ حوارَ اللهفة بيننا وابتعدتُ عنه فقال: لا تهجري أوطاني، كفاك غربة، عودي من المنفى...

قلت: قيس !! أنت متزوج.

قال: لا، أنا شبه متزوج.

قلت: وكيف ذلك؟؟ ماذا تعني؟

قال: تزوجت بطريقة تقليدية بناء على اختيار أمي كما جرت العادات

الأسرية بالزواج من الأقارب لأغراض اجتماعية عشائرية غبية وأنا منفصل عنها منذ سنتين تقريباً ولا أريد أن أطلقها فأنا مريض جداً ولا أعلم متى سأرحل عن هذه الحياة، فلا أريد أن أحمل أم أولادي لقب مطلقة ما دمتُ لن أعيش طويلاً، فلتكن أرملة عوضاً.

نظرتُ إليه بنظرات عميقة من الاحترام، اقتنعتُ بكلامه؛ فكم من البشر متزوجون على ورق ويعانون من الغرق، تحت سقف علاقة لا تسبب سِوى الأرق، البيوت أسرار، والطلاق ليس بأمرٍ سهل، وقد نضحي بسعادتنا من أجل الأولاد، تفهمتُ موقف قيس، وربما سحابات الحب حجبت عني الشعور بالذنب، فنحنُ نستميح الأعذار لأنفسنا عندما نحب.

-٣٤-

رنحني العشقُ على حبالِ الانتظار، وقد تمحور وقتي حول بؤرة اللقاء، فنحن لا نكتفي من لوعة الاشتياق، لم أتوانَ عن انتهاز أية فرصة لأخطفه من هذا العالم وأنصهر في بركان أنفاسه بشغف، وكلما تعاركنا بصراع اللهفة، يبتسم ذلك الأسمر ويضمني كضلعه الضال الذي عاد إلى الديار، كنا نذهب بعد ساعات العمل إلى الفندق لنكمل طقوس الغرام، فقد كان يحتضنني كطفلة بين ذراعيه، كان يشعل لي الشموع فترسمُ ظلالنا عناقاً على الحائط، وكان يمرر يده بين شعري ويقبل ثغري، يتشبثني بقوة ليحتضن المزيد والمزيد مني، ولكني كنت أقاوم الانغماس في ضعف عاطفتي تجاهه، وكنت أصدّه في ذروة الهيام، نجحتُ لفترة في محاولات الهروب متسللةً على أطراف الأصابع وأنا أقاوم زخم رجولته بالصيام؛ حتى عانقني يوماً فزاد بجرعة اللهفة وهو يطلب مني الزواج، لم تسعني الأرض من الفرحة، فأنا لا أُطيق الانتظار لألبس له الطرحة، فقمت بالموافقة فورًا وقال:

- سأكلم والدك غداً.

ابتسمتُ وأنا أنظر في عينيه وقلتُ له ؛ متى سأغفو على بدر هذه العيون لأستيقظ بإشراقة الابتسامة؟!!

مررتُ يدي على شفتيه حتى بان بثغره جمانُ البسمةِ، وقبل يدي ثم صرَّ بأسنانه على أناملي؛ وكأنه أراد تذوق أنوثتي، فسحبتُ أصابعي من بين فكيه وأنا أرتعش من فيض الغرام الذي تأجج في عروقي، وقلت له يجب أن أغادر الآن، نهض أمامي وحملني بلا مفاوضات، عانقني بشدة ووضعني برفقٍ على سريره، وكلما حاولتُ أن أُخرج الكلام لأطالب بهدنةٍ للسلام ووقف صراع الأبدان؛ وضع يده على شفاهي بنعومة وأشار إليّ بالصمت، فجزءٌ مني يقاوم، والآخر يريد أن يهاجم، فالعشق مشاعر من الجنون تجعل كل ما هو ممنوع علينا مرغوب، سرعان ما نجح بتجريدي من عباءة الحياء وامتزجت لمساته بي وعيناه لم تفارق عيني بالعناق، فكلٌ ما فيّ يصرخ باسمه، وكأني خلقتُ فقط لأكون ملكه، اشتدّ بيننا الغرق بالقبل وكأنها حربٌ تحت المَطر، فحتى ريقه أشهى من شهد العسل، واندمجنا في دائرة من الهلاك في قطعة كونية

بعيدة عن الواقعية، تذوقتُ ثمار الجنة مع عزف موسيقى أنفاسه بأعذب لحن، سُلبت مني الإرادة فاستسلمتُ له بسعادة وقبول، ولدت أنوثتي من رحم النضوج؛ فقد تم فكّ أحجية الشمع الأحمر من بوابات كوكبي المهجور فعالمي الخفي لم يطأه رجل من قبل، فجميعهم انعزلوا عني خلف الأسوار، فأنوثتي لها أسرار، إلا هو؛ فقد كان فارسَ الإنجازات وأميرَ كل اللحظات، فسقطتْ قلعتي رهينةً لعشق النبضات، شعرتُ بأدق التفاصيل، وكأن أنوثتي أزهرت بالجمال تحت عدسة التصوير البطيء، لم تكن مجرد علاقة جسدية تنحدرُ تحت الممارسات الأنسية؛ بل كانت عبارة عن أرواح ملائكية أُقيمَ لها احتفالٌ راقصٌ على فراشٍ ووسادةٍ بكل طهرٍ ونقاء، فحتى ألف سنة من العناق لن تطفيء نار ما بنا من اشتياق، فلهفتنا تدعونا لمداومة الاحتراق، لم نشعر بالاكتفاء أبداً، كالعادة قاطعنا الزمان، فتداركتُ الوقتَ، وكان عليّ الرحيل بعد كل هذا التأخير، انتزعتُ روحي من بين ثنايا روحه كانتزاع الشوك من الحرير، ذهبتُ إلى المنزل ولكن سعادتي لم تكتمل، فقد فُجعتُ عند وصولي بخبرٍ لا تشتهي الأذن سماعه، فقد تدهورت صحة نيرفانا،

وهي تحت قبضة الموتِ في نعشٍ مؤجلٍ بالعناية المركزة، وقد طَلب منا الأطباءُ الصلاةَ لها والدعاء، تغيبتُ عن الدوام في صباح اليوم التالي، اتصلتُ بقيس وأخبرته عن نيرفانا فحزن لأجلها وطلب مني أن أطمئنه عنها، بقيتُ مع نيرفانا في المستشفى ثلاثة أيام ولكن روحها من معركة المرض أرادتْ السلام؛ فاستسلمتْ شهيدة الآلام، ماتتْ نيرفانا، حَزِنَّا جميعاً لفراقها، حَزِنَ أخي كثيرًا، فقد دفن جزءًا من روحه تحت التراب، واسيتُه قدرَ الإمكان، ولكن الحزن مادة قابلة للإدمان، فالحزنُ لم يغادر جدران منزلنا لأشهر، ولكن لم يبقَ لنا سوى الصبر والسلوان.

-٣٥-

فارقتنا نيرفانا كما فارقتنا زويا، وعلى من سيأتي الدور بعد ذلك؟

أعيش في جوف الكتمان، أخافُ أن ألفظَ كلماتِ الفراق، فيتذكر الموت قيسي المريض ويحتضنه بقبضة تقطع عني حبل الوريد، وكلما رأيتُ قيسًا ارتميتُ في أحضانه متشبثةً بتضور الشوق؛ وكأنني سأراه للمرة الأخيرة، لم أتحمل فكرة الفراق، ولكن تأتي الأخبار السيئة دائماً لتنشل فارسي من بين ذراعي؛ فقد اضطُر قيس للمغادرة إلى بلاده، فقد تعرض ابنه لحادث سقوطٍ من الأدوار العليا وهو في حالة صحية غير مستقرة، فسارع بتجهيزات السفر.

ودّعته بدموع الحسرة والقهر، ها هو ذاهب، فأيُّ مصيرٍ ينتظرنا؟

نظر إلى عينيّ المرهقتين من البكاء، وقال:

- لا تبكي يا حبيبتي، سأعود لك قريباً.

سافر قيس، وأخذ العقل والروح في تلك الحقيبة معه، أصبحت

كمومياء محنطة في تابوت الانتظار، باشرتُ العمل وحيدةً بين جدرانٍ باردةٍ ولكنها بالرغم من شتائها الجاف إلا أنها تشكلت بصور من الماضي الجميل معه، فحتى أثاث المكتب اشتاق لقيس، كنت أجلس لساعات وساعات وأنا في محراب الذكريات أتلو صلوات الاشتياق، وبعد بضعة أيام اتصل بي من هاتفه النقال، عندما سمعتُ صوته ينبعث من الهاتف أجهشتُ بالبكاء، فقال:

- لا تبكي روبي فحزنك يعتصرني، اشتقت لك، اشتقت لأدق تفاصيلك. فقلت:

- اعذرني، فقد استسلمتُ لعاطفتي ونسيتُ أن أسألك عن حال مشعل ابنك. كيف حاله الآن؟ فقال:

- إنه يتحسن، مجرد كسور في يده وقدمه وسيكون بخير إن شاء الله، فقلت:

- أجل، حمداً لله على سلامته، لابد أنك تحتاج لقضاء المزيد من الوقت مع أولادك أيضاً وربما مع ...

قال مقاطعاً: مع من؟؟

قلت بصوت منزعج: لا أدري !!

قال: ألم أقل لكِ أننا منفصلان منذ زمن؟، أنا هنا من أجل مشعل وأريام فقط، وسأعود لك في غضون شهر وليس أكثر؛ فأنا لا أستطيعُ الصمود أكثر دون رؤيتك. قلت:

- لن يخلق الحب في أحشائي لسواك. فقال ضاحكاً:
- سأقتلك إن أحببتِ سواي، أنت لِي وحدي ولغيري لن تكوني، عندما أعود سأختطفك من برجك العالي أيتها الفاتنة، ولكني أحتاج أن ترمي بخصلات شعرك لأتسلق عليها، قلت:
- ستفسد تسريحتي، فضحك بصوت مرتفع وقال:
- آهٍ يا روبي، لا أطيقُ فراقك، سأعود، كوني بانتظاري. فقلت:
- سأكون دائماً بانتظارك،

أغلقنا الهاتف وعدت بخيالي لأرض الواقع، هو الآن يبعد آلاف الأميال، وأنا تقتلني الوحدة واللوعة، حاولتُ أن أُمضي ما تبقى من أيام غيابه، حاولتُ أن أشغل وقتي بأشياء مفيدة وأخرى مهمشة فقط لأملأ فراغات الغياب وأقلل من جرعة العذاب، لم أعد حتى أهتم بوجود زائر الليل أو غيابه فقد كان قيس يشغل كل تفكيري ويسيطر على مزاجيتي، وكلما شعرت بالاختناق؛ كانت ذكراه رئة للتنفس، كان قيسُ حريصاً على الاتصال الدائم للاطمئنان على حالي، وبعد شهر من غيابه وانتظار عودته بدأتُ أشعر بغثيان ودوار، وتأخر موعد دورتي الشهرية، قلقتُ في البداية ولكني كنتُ أظن أن التوتر الذي أعاني منه سببٌ كافٍ للعبث في هرموناتي، ولكني لم أكن أستطيعُ أن أرى اللحوم أو أشتم رائحة الطعام على المائدة، فكنتُ أهرولُ لأتقيأ ما في جوفي.

بدأت أمي تلاحظ التغير على سلوكي غير المفسر، ولكني كنت أبرر لها أني توقفت عن أكل اللحوم، فأنا أريد أن أصبح نباتية وأن اللحوم تثير اشمئزازي الآن، فكنتُ أرى نظرات الخوف في عينيها ولكنها كانت تحاول الاقتناع بكلامي، غاب قيس لشهر بلا اتصال، بدأتُ أتوتر

وأحاول أن أجدَ لغيابه أعذارًا، ولكني لم أستطع التحمل أكثر فقد نفدَ صبري، ذهبتُ إلى المختبر لأحلل عينةً من دمي؛ فغثياني ودوختي بدأا يزيدان، وبعد ساعة انتظار جاء الخبر المنتظر، فكل تنائج التحليل تثبت حملي، أمسكتُ بالأوراق وأنا في صدمة، لم أعلمْ كيف سأتخلصُ من هذه الورطة، أين قيس الآن ؟!

اتصلتُ به، مراراً وتكراراً ولكنه لم يُجب.

كنتُ أتصلُ كلَّ يومٍ ولمدة أسبوع، ولكن كانت النتيجة ذاتها، لا أحد يجيب، إلى أن أجاب أحدهم هاتفه بعد مضي شهر كامل على غيابه بين تلف الأعصاب والمعاناة، فقلت متعجلة:

- هل أستطيعُ التحدث مع قيس؟؟ فقال:

- قيس في بريطانيا. فقلت:

- ماذا يفعل هناك؟؟ ومن تكون أنت؟؟ فقال:

- أنا مدير مكتبه هنا، السيد قيس عانى من وعكة صحية ونقلوه

إلى بريطانيا لإجراء عملية جراحية عاجلة. فقلت:

- هل لي بأخذ عنوان المستشفى؟ فقال:

- عفواً هل أستطيعُ معرفة هويتك؟ فقلت:

- أنا مديرة مكتبكم في الفرع الآخر. فقال:

- نعم، أهلًا بكِ سيدة روبي، السيد قيس ذكر اسمك أمامي، حسناً سأعطيكِ العنوان بلا شك.

أخذتُ العنوان من مدير مكتبه والخوف ينهش قلبي بلا رحمة، ولحسن حظي كان صديقي سام يقطن في أحد العواصم الأوروبية المجاورة، فقد كان من أقرب أصدقائي على مقاعد الدراسة، وهو الشخص الوحيد الذي أثق به كي يذهب لقيس ويطمأن عليه ريثما أدبر تفاصيل سفري لقيس وإيجاد الحجة المناسبة لكي أقدمها لأهلي.

اتصلتُ بسام وقد أخبرته عن قيس وقد كان يعلم ببعض التفاصيل القليلة عن علاقتي به، انهرت بالبكاء بلا توقف وطلبتُ منه السفر إلى

هناك وطمأنتي على حالته، استجاب سام لطلبي وطلب مني أن أتمالك أعصابي وقال إنه مستعد لإتمام أية مهمة من أجلي.

سافر سام في اليوم التالي وكنتُ أترقبُ وصوله ليُطَمئِنني على قيس، ذهب سام ليلتقي بقيس وقد كان في العناية المركزة فلم يسمحوا له باستخدام أية وسائل للاتصال في الداخل، فرحَ قيسٌ بعد أن زاره سام لدقائق قليلة وحمل له بشارة قدومي لرؤيته، قمت بإعداد حقيبتي وحجز تذكرة خلال أيام وقدمت لأهلي أسخف الأعذار فلم يجادلوني بالقرار وكأن القدر أراد لي السفر، فقد قلت أني سأذهب لزيارة جدتي في إيطاليا، ولكني سأمكث في بيت سام وزوجته لعدة أيام قبل الذهاب لرؤية جدتي، سافرتُ إلى بريطانيا، ذهبتُ لقيسي، استقبلني سام بالمطار واصطحبني لرأيته على فراش الألم، أحتضنته وقبّلت يديه، كان ثغره يبتسم لي خلف قناع التنفس الاصطناعي، وقد بدا مجهدًا للغاية، نظر إليّ بعينيه اللتين لم تصدقا وجودي، فقلتُ له:

- نعم، أنا هنا، سأكون بجانبك.

دخلتْ الغُرفة في هذه الأثناء والدته، وقد بدا عليها ملامح التعجب فمن نكون نحن؟

تركتُ يده ووقفتُ بجانب سام فألقتْ علينا التحية وهي تنتظر منا أن نُعرِّفَ بأنفسنا، فمددتُ يدي بالسلام وقلت لها:

- اسمي روبي، أنا...

فنزع قيس قناعه وقال لوالدته، هذه روبي زوجتي يا أمي، نظرتْ أمه له وعلامات الدهشة تعلو وجهها، ولكني تداركتُ الموقف بسرعةٍ وابتسمتُ قائلةً:

- نعم أنا زوجة قيس.

فاستغربتْ والدته من زواجه دون علمهم، ولكن لم يكُن هناك مجالٌ للعتاب في هذه الأجواء، ذهبَ الجميعُ خارج الغرفةِ؛ فغيرَ مسموحٍ بوجود أكثر من شخص أو شخصين داخل الغرفة، فمكثتُ بجانبَ قيسٍ وأنا أعانقُ أنامله بين يديّ، كان يحاولُ أن يحادثني مبرراً غيابه ولكني طلبت منه أن يرتاح، تحادثتْ نظراتُنا في حوار طويل وابتسامات صامتة على إيقاع النبضات القلبية في جهاز رصد النبضات، فقلت له: استمع، إن قلبك ينبض باسمي، فضحك وشدَّ بيده على يدي فنظرتُ

إليه طويلاً وقلت:

- عشقك ينمو في أحشائي، أنا حامل بابنك.

ابتسم ونزع قناعه وقبَّل فاهي وقال لي:

- سنتزوج غداً. ابتسمت وقلت له:

- ارتَحْ الآن، سنتحدث في الموضوع لاحقاً، أريد الاطمئنان على صحتك أولا؛ فغضب وقال لِي:

- سنتزوج في الغد ألا تفهمين؟ قلت:

- أجل، أنا أفهم، سنتزوج غداً.

جاءت الممرضة وطلبت مني المغادرة فعليه النوم الآن، ودّعته وأنا أحترق بنيران الخوف من المجهول، أعليك الدور الآن يا قيس أم أنك ستنجو بمعجزة من الرحمن؟

ازدحمتْ الأسئلة في خاطري ولكن كل إجاباتها عُلّقت على الغيب المجهول والمبنى على الفقدان.

-٣٦-

نعتمد على التخدير في مواضيعنا المعقدة، وكأننا بدأنا بخسارة فرص حسم الأمور، أصبحنا نسيرُ مع التيار لأن السباحة ضده تهددنا بالغرق، تعالتْ الأمواج فوق مهاراتنا في السباحة فاتخذنا طرق الرضوخ للقدر، ففضلنا أن نكون هيكل حطام سفينة دون شراع يتصدى لرياح المجهول، فليس الأمر عن رضا وقناعة؛ بل ليس هناك أمامنا حلول سوى القبول، قيسٌ الآن في قيدِ المجهول، وأنا عابثة في بلادٍ غريبة؛ أنتظر معجزة لنجاته من هذا المرض الوضيع.

مررتُ بالكثير من العثرات والسقوط في الهاوية، ولكني كنت أنجو في كل مره بأعجوبة، وعندما التقيتُ بالفارس المنتظر أصبحنا تحت خط الخطر، اصطحبني سام إلى الفندق الذي يمكث به هو أيضا، قال لي:

- سيكون بخير، لا تحزني يا عروس. فقلت له:

- شكراً على حضورك ووجودك معي في أزمتي هذه؛ فأنت أخي الذي لم تلده أمي. قال:

- هذا واجبي، ارتاحي الآن فأنت مجهدة؛ فقد كان يوماً شاقاً لكِ، عليك النهوض باكراً فنحن بحاجة للبحث عن مأذون شرعي في هذه الدولة؛ ومن ثمَّ الذهابُ إلى قيس لإتمام إجراءات الزواج وتوثيقها قانونياً، سيكون يوماً مزدحماً بالأعمال، عليكِ النوم والراحة.

تركني عند باب غرفتي وذهب هو لغرفته، لم تمضِ إلا ساعات وقد كانت بمثابة دهرٍ كامل بالنسبة لي، لم أستطع النوم؛ فشوقي لقيس كان أكبر من أن أنام، كنت أنتظر ساعات الصباح بفارغ الصبر؛ فكيف وأنا تحت ذات السماء أتركه وحيداً يواجه آلامه على سرير الأوجاع؟

مرَّ الليل بصعوبة، حتى لاح الصباح، جهزتُ نفسي والتقيتُ سام في قاعة استقبال الفندق وتوجهنا إلى أقرب مركز إسلامي للسؤال عن تفاصيل الزواج الشرعي في هذه البلاد، لم يكن الأمر سهلاً فكل شيء هنا يحتاج لمواعيد مسبقة، ولكن تفهم الشخص المسؤول حالتي، وفي خلال ساعة حضر أحد الشيوخ المخولين لعقد القران إلى المركز وانتقلنا مسرعين إلى المستشفى كي نباشر بإجراءات الزواج.

كنتُ مسرورةً جداً، أكادُ أحلق في السماء وأنسج من غيومه فستاني الأبيض، وألتقطُ نجمةً لامعة وألبسها خاتماً حول أصبعي، فاليوم هو زفافي برجل كل الفصول وكل العصور، رجل الأحلام في الصحوة والمنام، لم تسعني الأرض فرحاً، وصلنا الى المستشفى ولم تفارق الابتسامة وجهي وأنا أتطاير للقاء قيسي المرهق، لعلَّ هذا الحدث من شأنه أن يُدخل السرور إلى قلبه المجهد، ذهبتُ إلى غرفته في العناية المركزة ولكني سرعان ما تسمّرتُ خلف النافذة، حيث كان سريره فارغاً، لم يكن هناك، لم تسيطر عليّ المشاعر السلبية مطلقاً؛ فقد كنت أكيدةً أنه قد تم نقله إلى غرفةٍ ما مجاورة، نظرتُ إلى سام وقد كان يتبادل الحديث مع الممرضة وقد بدا وجهه شاحبًا؛ وكأنه قد رأى عفريتاً، فنظر إليّ وأطرق برأسه إلى الأرض، تقدم إلي وقال لِي بصوت يخنقه الأسى:

- حضرنا متأخرين، توفى قيس منذ ساعة، لم أتحمل وقعُ الخبر عليّ، خارت قواي فجأة؛ وشعرتُ بسكاكين الخبر تمزق أحشائي من كل جانب، بدأتُ بالصراخ دون سيطرة أو وعي، أنادي باسمه لعله يسمع ندائي ويعود من موته إلى أحضاني

ليلتفني من جديد ولعمرٍ مديد، مات قيسي، نعم لقد مات.

أمسكني سام وقد فقد كل وسائل السيطرة على تهدأتي؛ وقد بدأ برفع صوته عالياً وهو يحتضنني ويقول للتذكرة، إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقلت للممرضة أريد روؤيته فقالت لي أعتذر، فالأمر معلقٌ بيد والدته وحدها؛ فهي المسؤولة عن تولي شؤون جثته الآن، فذهبتُ إلى والدته وقد كانت تبكي بحرقة في غرفة الانتظار، وقلت لها: أرجوكِ اسمحي لهم أن يأخذوني لأرى قيس لأودعه لآخر مرة، فقالت للمرضة: حسناً خذيها لتراه قبل اجراءات نقل الجثمان إلى البلاد ودفنه في مرقده الأخير، لحقتُ الممرضة وقد مشينا إلى الثلاجات الحاوية للموتى، غرفة خالية من بوادر الحياة تصطف بها خزانات حديدية معلقة بجانب الحائط، قامت بسحب حافظته، وقد ظهر قيس الشاحب؛ وكأنه نائم، وليت أسطورة تقبيل الأمير النائم صحيحة لتعيده من رحلة نعشه، ذرفت الدموع الصامتة على رفاته، قبّلتُ يده الباردة وجبينه، ربما سيسامحني لقدومي متأخرة، همستُ بأذنه سامحني، سأراك لاحقاً يا حبيبي ورفعت الغطاء الأبيض على وجهه، وأغلقت الممرضة تلك الحافظة عليه، وكان

هذا هو آخر لقاء غراميّ لنا، مات حبيبي، تخزنت صور موته في ذاكرتي إلى جانب مشهد التهشمات الزجاجية المبعثرة وأنا مستلقية رأساً على عقب وقد غطى اللون الأحمر لوحتي المؤلمة، دُفن قيس بداخلي بجانب زويا، وتكفنا بسلام الأبيض، وأنا اكتسيتُ بحداد الأسود، لن أتأثر بفتات حزن منثور على زوايا الحكايات؛ ليس هروباً منه، ولكني وصلتُ لحافة الانهيار، تحولتُ لفتاةٍ بائسةٍ وموصودة العينين بوشاح أسود؛ فلم أعد أريد رؤية شيء، وأطلقت حاستي السادسة لسابع سماء، لعلها تلتقي بقيس ولم أنجح بالوصول، أتغذى يومياً على وجبة الحزن حتى الاشباع، وأتقيأ العذابَ وأغرقُ بالدمع ليملأ المزيد من واحات السراب، أتنفسُ الأوجاع وأنتظرُ معجزة لقاءٍ لألتقي به في الموت، غاب هو في رحلة اللا عودة، وغادرتُ أنا في غيبوبة الكآبة، وكلما تخدرتْ أوجاعي ركل ذلك الجنين في أحشائي ليبعثَ الحياةَ بي من جديد، ويسري مفعول الحزن إلى حبل الوريد، فينفطر قلبي على الفراق فأناجي غيابه بحرقة واشتياق، شجن بنكهة الانتهاء وموجات غاضبة من الازدراء، فالموت هو عدوي اللدود يأخذ من أُحب،

أمضيتُ شهوراً من التعاسة والشرود، شحبتْ ألواني وبهتت بسمتي وزاد مرضي، أصبحتُ نحيلةً جداً لايبرز مني سوى البطن، تلك الطفلة التي تنبض بالحياة، وأنا أغفو بسكرات من الموت، لم أتمكن العودة لدياري ومواجهة أهلي بانتفاخ بطني، فحملي هو حمل غير شرعي لأب فارق الحياة قبل أن يمنح ذلك الجنين اسمه، اكتفيتُ بمهاتفتهم والاطمئنان عنهم وعدم تقديم أية معلومات إضافية عن حالتي، اكتفيتُ بجملة (أنا أبحث عن ذاتي) فقد كان عذراً أقبح من ذنب، ولكن لم يكن لدي أي قرار في تغيير المسار، انتقلتُ للعيش في ذات الدولة التي يقيم بها سام مع زوجته ياسمين، أصرّ سام أن أسكن معهم حتى موعد ولادتي؛ ومن ثم سنفكر بما هو قادم، قبلتُ على الفور، فأنا لا أريد مواجهة حزني في العزلة خوفاً على حياة الطفلة، فهي الرابط الوحيد لي بقيس الآن، قامتْ ياسمين زوجة سام برعايتي وتوفير وسائل الراحة لي، ولكني كنتُ جثةً تتنفس لا أكثر، أجبرتُ نفسي على الطعام لأجل ذلك الجنين اليتيم الذي ينتظر موعد خروجه إلى الجحيم، مرت الأيام ببطء وكنت أُقتل في كل يوم وأنا على قيد

الحزن، أتساءل دائما: هل سأصمد؟

# الرسالة

ابنتي الغالية سيلينا،

أحبك أكثر من أي شيء في هذا الكون الشاسع، فقد كُنتِ لي تلك الابتسامة الخفية خلف تجهم وجهي في يومي الشاق، لم أُصدق أنكِ قد نضجتِ إلى هذا الحد، وأن اليوم سيُصبح عمرك ثمانيةَ عشر عاماً، فقد اكتملتِ بالأنوثة والرقة والجمال، كأمكِ تماماً، لم أجدْ أفضل من هذا الكتاب لأُقدمه لكِ في عيدك هدية، خططتُ لسنين طويلة، وفكرتُ كثيرًا كيف سأخبرك يوماً بالحقيقة، لم تكن المهمة سهلة، ترددتُ في إخبارك، ولكني لا أستطيعُ أن أستمر في إخفاء الحقيقة عنك، اخترتُ هذا الكتاب لأقدمه لك؛ فهو عبارة عن مذكرات شخصية لفتاة تُدعى روبي، أخذتُ النصوص من دفتر تدوين يومياتها على أوراق قد أرهقتها الدموع، صنعتُ منه كتابًا، وكنتُ حريصًا على أن تقتنيه في هذا اليوم، روبي كانت من أجمل الشخصيات التي يمكن أن تحظي بلقائها، فهي

رقيقة ومهذبة وذكية جداً، حظت بالكثير من الجمال ولكنها في المقابل كانت فقيرة حظ، سأُكمل لكِ تفاصيل قصة روبي بنفسي لأنها لم تستطع أن تكمل الأحداث بنفسها، كانت روبي من أقرب الأشخاص إلى قلبي، طوال فترة حملها بالجنين عانتْ من توعكات صحية ونفسية كثيرة، دخلت في متاهاتِ الكآبة والحزن، أصبحتْ قليلة الكلام حتى إنها كانت أحيانًا لا تتحدث أبداً لأيام وأيام، أكملتْ روبي حملها للشهر السابع فقط، ولكنكِ لم تستطيعي الصمود في بطنها أكثر، فأنا أعلم أنكِ من ذلك اليوم إلى الآن وأنت تنبضين بالحياة والحيوية، لم تنتظري المكوث تسعةَ أشهرٍ لموعد ميلادك، اليوم هو ذكرى وفاة روبي وميلادك أنتِ، توفيتْ روبي وهي تلدكِ، لم يتحمل جسدُها الضعيف مجهود الولادة، غادرتنا جميعاً وتركتْ لنا أجمل ذكرى منها، تركتْ لنا أنتِ، ربما لم تستطعْ روحُها مفارقة والدك قيس؛ الذي أحبته لحد الجنون؛ فقررتْ اللحاق به، رحلتْ هي لتترك لِي أجمل طفلة، عند ولادتك حملتُكِ بين ذراعيّ بشغف، كنتِ أنت لِي السلوان والعيش بأمان، تبنيتُك لأحظى بشرف الأبوة لك، كنا أنا وياسمين من أوفر الناس حظاً لتكوني خليفة

روبي الجميلة في حياتنا، لا أحدَ يعلم بوجودك من عائلة أمك روبي ووالدك قيس، حرصتْ روبي على كتمان سرِّ قدومك إلى هذه الحياة فلم تكن مستعدة لمواجهة الحياة بكِ، والآن لكِ كل الحرية المطلقة في التواصل مع عائلتك الحقيقية، اذهبي إلى غرفتك ستجدين صندوقاً على سريرك يحمل مقتنيات والدتك، وورقةً قد كُتب عليها جميع الأرقام والعناوين لأفراد عائلتك الحقيقيين من الطرفين، يمكنك التواصل معهم إن أردتِ ذلك، فقد أخبرتُهم جميعاً اليوم بوجودك، ولكن كوني أكيدة أنك ستبقين ابنتي طيلة العمر، وأني لا أريد فراقك أبداً ولو للحظة واحدة في حياتي، ولكني سأتقبل قرارك أياً كان، كل عام وأنتِ ابنتي وخليفة روبي في هذا الزمان.

أحبك..

والدك، سام

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع